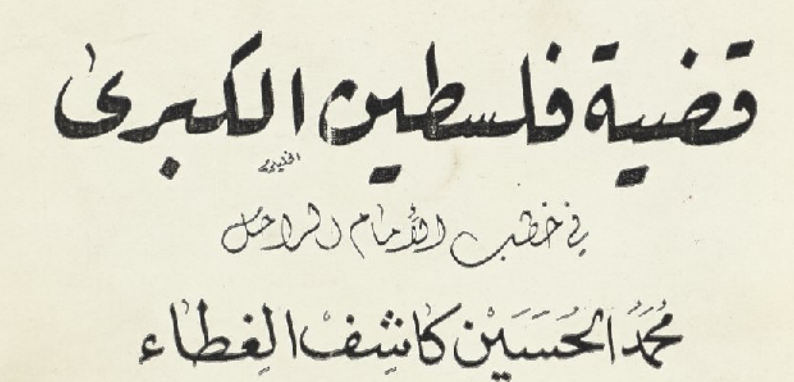


مجموعة خطب الامام الراحل
في الدفاع عن فلسطين وارشاد المسلمين




مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

قضية فلسطين الكبرى

في خطب الامام الراحل

محمد الحسين كاشف الغطاء

مجموعة خطب الامام الراحل في الدفاع عن فلسطين وارشاد المسلمين . وتشتمل على :

١ ــ فتاوى الامام لانقاذ فلسطين .

٢ ــ خطبة في « الاتحاد والاقتصاد » .

٣ ــ خطبة في العشار .

٤ ــ خطبة في البصرة .

٥ ــ خطبة في الحلة .

٦ ــ خطبة في النجف الاشرف .

٧ ــ خطبة في مولد الامام امير المؤمنين (ع) ببغداد .

٨ ــ خطبة في المؤتمر الاسلامي بباكستان .

منشورات





١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

مطبعة النعمان - النجف الاشرف تلفون ٢٠٩٧

مقدمة الكتاب

روح الانسان وأزمة العصر

منذ مائة سنة حصل تقدم كبير في وسائل رخاء الانسان ورفاهه وصحته ، فتضخمت الآلات العاملة لخدمة الانسان ، وتحسنت وسائط النقل، ونمت الزراعة ، وتوصل الى الوقاية من امراض كثيرة ومعالجتها . . . ومع ذلك يسود العالم الآن قلق شديد ، وعدم الطمأنينة ، وخوف على مستقبله ومصيره . وسبب ذلك الحروب الكثيرة التي حدثت في هذه الفترة ،ومنها الحرب العالمية الاولى والثانية ، والحروب المحلية المحدودة ، وثورات التحرر الوطني ، وارتفاع الاسعار ، وزيادة السكان ، والصرف على التسلح ، والرعب من حرب ذرية ماحقة .

ومن حق الناس ان يرين على قلوبهم القلق والفزع لهذه الاسباب في النظرة العابرة لاول وهلة ، ولكن اذا أردنا ان نتعمق في الامر ، ونتفهم روح الانسان وحقيقته ، نجد ما يبعث على الامل والرجاء ، ويطرد اليأس والأسى .

ان مشكلتنا مع اسرائيل والدول الاستعمارية جزء من مشكلة الانسان القديمة والحديثة . . . مشكلة الصراع بين قوى الخير وقوى الشر ، بين قوى الحق وقوى الباطل . . . هذه المشكلة التي حسبها بعض الفلاسفة والأدباء مشكلة ازلية وابدية . وفي الحقيقة ان الانسان الكائن الحي العاقل الجبار لا بد ان يحلها وينهي امرها بعون الله تعالى ومشيئته التي لا تقهر .

يعم العالم العربي الآن حيرة بسبب النكسة التي اصابته . . . ثلاثة ملايين تتغلب على مائة مليون عربي ! . . . ولكن تزول الدهشة إذا عرفنا ان مشكلتنا ليست مشكلة محلية ، بل مشكلة عالمية ، وجزء من الصراع بين قوى الخير والشر ، بين قوى الاثم والعدوان وقوى المحبة والامان ، بين قوى الغدر وقوى الصدق والشرف .

فمعركتنا مع اسرائيل لاتزال معركة طويلة الأمد ، وهي جزء من المعركة العالمية ، لذلك لا بد ان يطول امدها . والمهم

ان لايتغلب على نفوسنا اليـــأس ، ويجب ان لانستسلم ونقبل بانتهائها لغير صالحنا . فما دامت قوى الشر مع اسرائيل وقوى الخير والانسانية باسرها معنا ، فلابد ان تنتهي المعركة لصالحنا .

لقد ابتلي العرب باسرائيل بسبب الدول الاستعمارية . وان كانت مسئولية انقاذ العرب من النكبة تقع على الضمير الحي العالمي المتمثل في الدول المحايدة وكل شعوب العالم، فمن الواضح ان ذلك لايسقط العمل والمسئولية عن انفسنا . فعلينا ان نستعد من الآن للمعارك القادمة بكل ما اوتينا من قوة ، ونعبيء كل قوانا - الروحية والمادية والحربية - كي نساعد العالم ويساعدنا على الخلاص من الصهيونية والاستعمار .

يحسن ان نرجع الى تحليل نفس الفرد الانساني . فنلاحظ في حياة الفرد مظاهر اربعة : الحس، والفكر ، والشعور ، والعمل .. اي ان الانسان جسد ، ومخ ، وقلب ، ويد . فرقي الحواس وسعة الفكر وسمو الانفعال والعاطفة وتحرر يديه من المشي جعله اكثر اتصالا بما حوله من جماد واحياء وناس ، واكثر تأثيرا .. اي ان الانسان اصبح اكثر انفتاحا للعالم من جميع الاحياء . . ففي جرمه الصغير انطوى العالم الاكبر ، كما قال الشاعر :

وتحسب انك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الاكبر

فالانسان حيوان ناطق . فهو وان كان يشابه الحيوان في افعاله الحيوية ، لكن يختلف عنه اختلافاً نوعياً ، فيختلف اختلافاً تاما عن ارقى الحيوانات .

فالحيوان يقف من العالم موقفاً منفعلا سلبيا يتأثر بما حوله ولكن لاحول له ولاطول له، لايستطيع ان يؤثر في العالم ويغيره. والانسان حيوان مفكر ذو عزيمة وارادة قوية لاتقهر ، فيقف الانسان من العالم دائماً موقفاًايجابياً يتفهم العلاقات بين الاشياء ويغير العالم الطبيعي لصالحه .

والانسان كما انه وقف موقفاً ايجابياً ازاء علاقته بالطبيعة فهو لم يقف موقفاً سلبياً ازاء علاقته بابناء جنسه ونوعه منذ ابتداء التاريخ . فما استكان الى ضيم ولا رضي يوماً بالذل والهوان . فالانسان دائماً بطل معركة ، ميزته الصمود والبطولة ومقاومة الشر ، والنصر والمجد للانسان دائماً .

ان اهداف الفرد في الحياة مرتبطة بروحه وميزاته الجسدية والنفسية ،فليس همه اشباع حاجات الجسد فقط ، بل تتغلب عليه الحاجات النفسية والمعنوية على حاجاته الجسمية . فهدف الفرد السعادة في الحياة ، ولكن السعادة ليست في القناعة او العزلة او الكسل او الانهماك في الشهوات ، بل في العمل والنشاط وعمل

الخير والمحبة الانسانية ، ولا يتحقق ذلك للفرد إلا في ظل مجتمع متقدم سليم يسوده الاخاء والحرية والعـــدالة. والحياة الفردية المنعزلة لا يمكن ان تحقق السعادة للفرد ، والحياة الاجتماعية الراقية هي التي تحقق الحرية الواسعة والسعادة للفرد . اما الحرية المطلقة للفرد التي يتصورها الفلاسفة الوجوديون فلاحقيقة لها . وما نجد من مساوىء في الحيـاة الاجتماعية فسببه فساد النظام الاجتماعي الذي يحتاج الى اصلاح وتغيير .

والانسان منذ القـــديم مازال يحلم بسيطرته الواسعة على الطبيعة واستغلالها لراحته وسعادته، ويحلم بالتخلص من الظلم ومن خضوع فئة لفئة اخرى .

وكان التأخر العلمي والصناعي وقلة الانتاج عائقاً لتحرر الانسان من الطبيعة ، وجهل الناس وعدم معرفتهم بحقوقهم مع التاخر الصناعي ساعد على الظلم الاجتماعي .

ويأمل الانسان ـ في المستقبل القريب ـ ان تزداد سيطرته على الطبيعة ، كما ان التخلص من الاستبداد السياسي والفقر والجهل والمرض آخذ في الاتساع ، واصبح قريباً الزمن الذي يحصل فيه الناس على حرياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بفضل جهادهم وجهودهم .

ان الفرد وان كان يسعى لتحقيق رغباته الفردية في النجاح والحب والسعادة ، ولكنه يدرك انحياته الى زوال وفناء ، فيرغب في اعماق نفسه ان تكون لحياته معنى وقيمة ، ويفتش عن عزاء لنفسه لهذا الفناء والزوال ، فيجد عزاءه تارة بطاعة الله ومحبته وتارة بالذرية اوالابداع الفني او العلمي اوالصناعي ، او تشييد المباني الفخمة والمشاريع الخيرية ، اوالمحبة الانسانية والاصلاح الاجتماعي وغير ذلك .

فحقيقة الفرد الانساني انه جزء من عالم الطبيعة وعالم الاحياء والمجتمع ،ولكنه جزء ينطوي على العالم باسره ، كانه ممثل لله وخليفته في ارضه . فعن طريق الحواس والعقل يدرك العالم الخارجي ويتصل به ، وهوكائن تتمثل فيه صفات جميع الاحياء . وعن طريق الحب والعاطفة والشعور بالمسئولية يشمل اخوانه من البشر ويندمج بهم . وعن طريق العمل يتصل بالعالم الخارجي ويؤثر فيه ويغـيره ، فيزرع الارض ، ويشيد العمارات ، ويبني السدود ، وينصب المصانع .

إن الشرور التي نشاهدها في الوقت الحاضر في المجتمع الانساني كالحروب ، والجريمة ، والقتل ، والفقر ، والسرقة ، والكذب ، والاحتيال ، والخيانة ، والدعارة ، والقلق ، واليأس ، والانتحار

والجنون احياناً . . . كلها ناتجة عن خلل الأنظمة الاجتماعية التي تسود العالم ، وسوف تنتهي باصلاح هذه الانظمة ، وتحقيق التعاون الدولي ، والتخلص من اسلحة الدمار ، وانتهاء الحروب .

والانسان بالرجوع الى العلم والعقل والحب والعمل يستطيع الوصول الى اقصى مراتب الرقي والحرية والسعادة .

ومع الاخطار الكثيرة التي تكتنف الانسان في الوقت الحاضر وتنذر بالشر في المستقبل بسبب حماقة الاشرار من ابنائه . . . فان مراجعة التاريخ وسائر المعلومات المتوفرة لدينا عن روح اكثرية الناس، تدلنا ان النصر للانسان والغلبة لقوى الخير والنور والتقدم على قوى الشر والظلام والتأخر .

والاسلام هو الدين الوحيد الذى حث على العمل والجهاد ، واكد على الموقف الايجابي من العالم ، وندد بالنسك والهروب.. بينما كثير من الاديان ، كالمسيحية والبوذية ، حبذت العزلة والموقف السلبي من العالم .

« والعصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

☆ ☆ ☆

هذه الخطب السبع التي بين يدي القارىء كان الفقيد الوالد

الامام حجة الاسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء القاها في الفترة الزمنية من حياته ، بعد حضوره المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس الشريف لمدة اسبوعين ابتداء من ليله الاسراء ٢٧ رجب ١٣٥٠ هـ الموافق ٦ كانون الاول ١٩٣١ م . ويلاحظ القـــاريء في اكثرها قسطا كبيراً في الحث للدفاع عن فلسطين ، ووجوب الجهاد لحمايتها وانقاذها ، ولهذا السبب ولمضامينها الاخرى يجد القاريء كانها كتبت لهذا الوقت ، ولم تفقد فائدتها واهميتها . . خصوصاً وانها صدرت من مرجع ديني فذ احس بواجبه الديني والقومي ، ولم يتهرب من المسئولية ، فنبه قومه الى الاخطار المحدقة .

وان لم يتحقق في حياته ما كان يصبو اليه من تحرر ورقي المسلمين والعرب ، فان كلماته وصيحاته الداوية قد اثرت في نفوس الجماهير واثمرت مع جهود المخلصين ثمراً طيباً بعد وفاته .

النجف الاشرف
١٠ / ٧ / ١٣٨٩ هـ

عبد الحليم كاشف الغطاء

فتوى

الامام الكبير حجة الاسلام والمسلمين العلامة الراحل
الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

بشأن قضية فلسطين

من النجف الاشرف ـ في ٥ جماد الثاني ١٣٥٧
الى جمعية الدفاع عن فلسطين ـ بغداد

نمى الينا عن بعض ما قدرتموه من جعل يوم الجمعة (٥ أب ١٩٣٨) يوم فلسطين ، وان تقوموا مع الامة العراقية التي لاتزال مشكورة المساعي في مساعدة شقيقتها باعمال عساها تكون نافعة إن شاء الله .

ورأينا ان من واجبنا ان نقول كلمة في الموضوع تكون كنداء عام . . . وها هي تصل اليكم للنشر . . . تدفعها الزفرة ، وتمدها

العبرة ، وتؤلفها شظايا القلب المتقطعة ، وتؤججها نيران الاسى والاسف من هذه الامة المتمزقة . . . نعم ! منها وعليها . . . الأمة التي اصبحت لامن الاحياء فترجى ولا من الاموات فترثى. وعسى أن يحدث الله بعد ذلك لها امرا ، ويجعل لها من امرها فرجاً ويسرا .

محمد الحسين

« واليك نص الفتوى » :

نداء عام

ايها الاسلام ! . . .

ايها العرب ! . . .

لا . . بل ايها الناس ويا ايها البشر ! . . .

اصبحت الحالة التي بلغت اليها فلسطين الذبيحة مشاهـــدة محسوسة لكل احـد . ونحن نقول ـ وما زلنا نقول ـ : ان قضية فلسطين ليست قضية تخصها ، وليست هي قضية فلسطين فقط ، بل قضية العرب باجمعها . فاذا خرجت فلسطين من هذا الجهاد ظافرة فقد ظفرت العرب وفازت ، واذا ـ لاسمح الله ـ تغلبت عليها الدولة الظالمة والصهيونية الغاشمة فقد باءت العرب بالذل والخسران ، لا بل بالموت والعار المخلد .

وكنا نقول ايضاً ـ ولا نزال نقول ـ : ان الدولة التي احتلت فلسطين كأنها اخذت على نفسها من يوم قيامها بهـــذا الاحتلال الغاشم غير المشروع أن لاتقيم للعـدل وزنا ولا للحق معنى ولا تصغي الى اية حجة ومنطق . . فكان موقع الاحتجاجات والمقالات من سمعها موقع الهواء في شبك مزق ! ولذلك ذهبت تلك

الاحتجاجات من الاقطار العربية والاسلامية ، مدة عشرين سنة ، كلها سدى . . بل ما افادت سوى الشدة والعناد ، والتمادي في الغي والفساد .

وعلى فرض انه كان للاحتجاج في الزمن الغابر معنى وفيه ومضة امل اولمضة رجاء . . أما اليوم فقد حقت الحقائق وصرح الزبد عن محضه ، وجازت القضية عن دور الاحتجاج والاقوال الى دور الاعمال .

وقضية العمل منوطة الى كل عربي ، بل كل انسان ، بمقدار الحد من غيرته وشعوره ، ومبلغ حظه من الانسانية . فمن كان يجري في عروقه الدم الحي الشريف فلا ريب ان شرف عنصره يهيب به ويدفعه الى اللحوق باخوانه في فلسطين والجهاد معهم ، ولا ينتظر أن تأتيه فتوى المفتي بوجوب الجهاد ، بل فتوته تسبق الفتوى وتعرفه بواجبه بوحي من ضميره وشرف وجدانه .

فيا ايها العرب ! . . ويا ايها المسلمون ! . . بل يا ايها البشر ويا ايها الناس !

اصبح الجهاد في سبيل فلسطين واجباً على كل انسان لا على العرب والمسلمين فقط . نعم ! هو واجب على كل انسان لا بحكم الشرائع والاديان فقط بل بحكم الحس والوجدان ، ووحي الضمير وصحة التفكير .

والخطة العملية في ذلك هي: ان من يستطيع اللحوق بمجاهدي فلسطين بنفسه فليلتحق بهم، واني ضمين انه كالمجاهدين مع النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في «بدر»، فان المقام اجلى واعلى من ذلك المقام، مقام شرف وغيرة وحس وشعور، لا مقام طلب اجر وثواب، وان كان كل ذلك باعلى مراتبه.. ومن لم يستطع اللحوق بنفسه فليمدهم بماله، إما بتجهيز من لا مال له ليلحق بهم، او بارسال المال الى المجاهدين وعيالهم واطفالهم. ومن عجز عن كل ذلك، فعليه أن يجاهد ويساعد بلسانه وقلمه ومساعيه جهد امكانه.. وهذه هي ادنى المراتب.

وليكن كل احد على علم جازم أن القضية قضية موت العرب وحياتها. وليعلم ناشدو الوحدة العربية والاسلامية انهم لا يجدونها ابدا إلا بنصرة فلسطين، فان انتصرت - بحول الحي وقوته - فما يرومونه من الوحدتين في قبضة ايديهم وعلى كثب منهم، وان كانت الاخرى - لاسمح الله - فاين العرب واين الاسلام حتى تكون لهم وحدة او تتطلبها لهم القضية!.. تكون كما يقول ارباب الفنون «سالبة بانتفاء الموضوع».

هذه دعوتي وندائي العام ابعثه الى عموم العرب والاسلام.

ويشهد الله لولا اني قد تجاوزت العقد السادس من العمر مع تزاحم انواع العلل والاسقام على هذه العظام النخرة، لكنت

اول من يلبي هذه الدعوة ، ولشخصت بنفسي اليوم الى تلك البلاد المقدسة كما شخصت اليها بالامس .

وانه لعزيز علي انه لم يبق عندي من النصرة لها الا هـــذه الكلمات ، وعبراتي التي تسبق العبارات ، وتوقد لاعج الزفرات .. وعند الله احتسب كل ذلك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

النجف الأشرف — محمد الحسين

٥ / ٦ / ١٣٥٧ هـ — آل كاشف الغطاء .

فتوى ثانية للفقيد

نشرت في الصحف العراقية بالعنوان التالي :

﴿ اعلان الجهاد المقدس لانقاذ فلسطين ﴾

أصدر سماحة المجتهد الكبير
العلامة الشيخ محمد الحسين آل
كاشف الغطاء الفتوى الخطيرة
التالية في سبيل انقاذ فلسطين :

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

من العراق ـ النجف الاشرف

١٥ ذو القعدة ١٣٦٦ هـ

« ياايها الذين آمنوا : هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ، ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ، ومساكن طيبة في

جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب . وبشر المؤمنين . . . » .

طلب مني بعض الاعاظم ارسال نسخة من الفتوى التي كنت اصدرتها في لزوم الدفاع عن فلسطين . والباعث على هذا الطلب ما وصلت اليه هذه الارض المقدسة في محنتها الحاضرة بعد كفاح ثلاثين حولا ، والتضحيات بالانفس والاموال التي تفوق حد الاحصاء .

ونحن نرى ، في الحال الحاضر ، ان المحنة والبلوى قد تجاوزت حدود الفتوى ، واصبح كل ذي حس من المسلمين يفتي له وجدانه ويوحي له ضميره وجوب الدفاع عن فلسطين بكل ما في وسعه ، ويستهون ببذل العزيزين (النفس والمال) في هذا السبيل واعلان الجهاد المقدس .

فلا تهنوا ايها المسلمون . . ولا تتوانوا وانتم الاعلون . . وان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم . وما النصر إلا من عند الله والله قوي عزيز .

النجف الاشرف　　　　محمد الحسين
آل كاشف الغطاء

صرخة داوية لفلسطين الدامية

من الامام حجة الاسلام آية الله « كاشف الغطاء » لعموم المسلمين

« فذكر ، ان الذكرى تنفع المؤمنين » .

ايها المسلمون :

نشرت الصحف العراقية عليكم نداء عاماً منافي جواب الكتب التي وردتنا من لفيف من الشباب البغدادي النجيب ومن غيرهم، وكان ذلك قبل اعلان الحرب الرسمي - أي قبل ١٥ أيار - .

أما اليوم وقد اشتبكت الدول العربية ، واعلنت حربها لليهود لتطهير البلاد المقدسة من رجس الصهيونية . . نقد اصبح جميع العرب في حالة حرب .

والمصيبة العظمى التي لعلها اعظم من مصيبة الصهيونية هي: ان المسلمين ،والاخص العراق بحدته،وعشائريه ،وزعمائه ، وشبابه، وساير طبقاته . . لايزالون يغطون في نومهم العميق . . لا يحسون بهذا الحس ولا يشعرون بهذا الشعور كي يقوم كل واحد بواجبه،

ولا يزالون يعمهون في سكرتهم ، ويتمتعون في شهواتهم ولهوهم .

ايها المسلمون :

أتحسبون ان اليهود اذا غلبوا على فلسطين ـ لا سمح الله ـ يتركون العراق والحجاز وغيرها من الاقطار العربية ؟! . . أيهون عليكم ان تصبحوا رعايا لاشقى امة في الارض : اليهود والصهاينة ؟!

فان كنتم لا تحضرون ميادين الحرب مع اخوانكم فلا اقل من اعانتهم بجمع الاموال والعتاد والسلاح .

وكان اللازم ان تكثروا الاكتتابات الشعبية في كل مدينة ، وفي كل قبيلة ، ومن كل زعيم ، ومن كل تاجر وذي ثروة . . ثم تمدونهم بالتضرع والدعاء الى الله ـ جل شأنه ـ في كل جامع ، وفي كل مسجد ، وفي كل مرقد من المراقد الشريفة . . تتضرعون اليه ـ تعالى ـ وتضجون بالعويل ، خاضعين باكين ، في ان يمد اخوانكم الذين في المعارك وتحت حمم القنابل بالصبر والثبات ، ويكتب لهم الفوز والظفر .

ايها المسلمون :

قد برز اليوم الايمان كله الى الشرك كله . . وعادت الحروب

الصليبية بابشع صورها ،وتألبت دول الكفر باجمعها على الاسلام باجمعه .

أتعرفون ما معنى « الحروب الصليبية » ؟ . . . هي اتفاق دول الغرب على محو كلمة الاسلام من صفحة الوجود ، كما صنعوا في القرن السادس زمن صلاح الدين الايوبي .

افلا يجب عليكم - ايها المسلمون - ان تنهضوا لحفظ كرامتكم وبلادكم من ألد اعدائكم ؟!

واعلموا ان الله - سبحانه - لايجعل النصر لكم إلا اذا انقطعتم الى الله ، وتركتم الملاهي والمقاهى والسينمات ، وتجعلونها حراماً عليكم حتى ينصر الله اخوانكم في فلسطين . فان رجعتم الى الله وانبتم ، ورفضتم المحرمات والمنكرات ، واخذتم بالدعوات والتضرعات . . فانا الضمين لكم بالله - جل شأنه - ان يكون الفتح لاخوانكم والنصر وقفاً على جيوشكم ، وإلا فخزى الدنيا وعذاب الآخرة !

اللهم اشهد ، فاننا قد بلغنا وانذرنا ، واليه الحجة البالغة .

« وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

النجف الاشرف محمد الحسين كاشف الغطاء

خطبة

الاتحاد والاقتصاد

الخطاب الجليل الذي تفضل به سماحة المصلح العظيم ، امام المؤتمر الاسلامي ، العلم ، حجة الاسلام، الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء ، والقاه في المسجد الاعظم بالكوفة في ٦ شوال ١٣٥٠ هجرية .

تقـديم

وبعد . . . .

فلا أراني مغالياً اذا قلت: ان الامة الاسلامية عامة اصبحت في حالة دونها شق الضمائر وقتع المرائر ، هائمة في ميدان الجهالة، سادرة في بيداء الغواية والضلالة . . اخذ الاجنبي بخناقها ، وربض الدخيل بكلكله على غاربها . . تصبح على هم وتمسي على غم . . تكابد ما لو تشعر الحمامة ببعضه لمزقت اطواقها ، وتحمل ما لو احست الجبال بمثله لاكثرت اطراقها . . دائبة على النفاق ، داعية الى الشقاق . . يأكل القوي منها الضعيف ، ويدافع البـدين النحيف .. «ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه ؟!».

رؤوس لا تفكر ، وجسوم لا تدبر !

اني لافتح عيني حين افتحها على الكثير ولكن لا ارى احداً

قوم الههم واحد . . نبيهم واحد . . كتابهم واحد . . تكاليفهم واحدة . . كل اصولهم وعقائدهم واحدة .. الا انهم مختلفون ! . .

هذا ـ لعمر الحق ـ العجب العجاب . هذا الذي حير الاوهام

واطاش الالباب . أدين واحد وشنئان ؟ وسطح واحد وهواءان ؟. ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين !

هذا اجمال من تفصيل ، وقليل من جليل ، مما اتصفت به في هذا اليوم الامة الاسلامية والجماعة المحمدية .

نعم ! وهذا ماحدى بسماحة المصلح العظيم ،والامام الجليل، العلامة الشيخ « محمد الحسين كاشف الغطاء » الى قيامه برحلته الاسلامية وهجرته الدينية الى البيت المقدس ، لحضور المؤتمر الاسلامى العام ، مهاجراً الى الله ورسوله . . ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله .

أجل ! هذا ما نبه منه ذلك الاسد الذي ما تعود ان يفترش الترب ذراعيه ، واسمع منه ذلك البطل الذي لم يصم يوماً من الايام عن دعوة الحق اذنيه . .

فشمر ـ على اسم الله ـ عن ساعد لا يعرف الكلل ، وترجم ـ وهو المفوه ـ بلسان صدق لايعتريه الملل . وما فتأ سماحته من يوم قفوله من المؤتمر الاسلامى حتى اليوم مقتعداً غارب عزمه الوقاد داعياً ومرشداً . . فمن استنهاض واستنفار ، الى دعوة وارشاد ، الى محاضرات اصلاحية ، الى خطب اجتماعية . . شاحذاً الهمم ، وموقدا نار الحماسة والعزيمة في قلوب العراقيين ، باعثاً

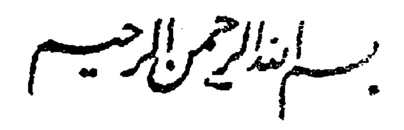
لهم ـ بكل ما اوتى من قوة ـ الى عقد الجمعيات الخيرية ، وتشكيل النقابات الاصلاحيـة ، وتأليف اللجان الاقتصادية . . له بكل مقام مقال ، وبكل ناد ارشاد . فيوم ببغـــداد ، وآخر بكربلاء ، وثالث بالنجف ، ورابع بالكوفة . . . .

له بكل محفل خطاب جليل ، وبكل مشهد مقال عريض طويل.

وآخر مواقفه الخطيرة ـ كثر الله لنا من امثالها ـ ذلك الموقف الجليل والمحفل المهيب ، الذى عقد لسماحتـه في مسجد الكوفة الشريف ـ عصر الجمعة ٢٦ شوال ١٣٥٠ هجرية ـ بناء على طلب والحاح من وجهاء اهل الكوفة واشرافها . . وقد حضره ثمانية آلاف او يزيدون ، من جهات العراق وارجائه ، وطبقاته العـــالية ووجهائه . وما استوى ـ حفظه الله ـ على المنبر حتى هز النفوس طربا ، وملأ القلوب عجباً .

واستدام يخطب ــ مرتجلاً ــ اكثر من ساعتين ، اورق في خلالهما عود الامل بعد الذبول ، واثمرت اغصان « ليت ولعل » بعد النصول،ودبت روح الرجاء بعد اليأس في قلوب الناس . . فآثرنا ان نتقدم بذلك الخطاب النفيس الى العـــالم الاسلامى ، رجاء ان يستيقظ بعد غفلته ، وينتبه عقب سكرته ، « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

النجف الاشرف صالح الجعفري



« رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي » .

ايها المؤمنون !

لو اردت ان اتكلم بكل ما اعلم ، وبما اوتيت من براعة البيان وقوة اللسان ، وبما يلائم الطبقة الراقية منكم من ذوي الفضل والمعارف ، كنت اوجبت حرمان الآخرين من الحاضرين . فرعاية لحق الجميع ، لامندوحة لي من ان اتكلم باللسان الذي ينتفع به الجميع ولا تختص به طبقة دون طبقة ، وقد قيل « ان الرجل اذا اراد ان يتناول شيئاً من الارض لابد له من ان يتطأطأ وينحني » ، اذاً فلا مؤاخذة لو تكلمت باللسان العادي ، بعد ان كان جل الغرض هو الافهام ، لا اظهار الصناعة والبراعة وتزويق الكلام .

قال ـ سبحانه وتعالى ـ : «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » .

هذه الكرة الارضية التي نعيش على ظهرها احياء ، ونرمس في بطنها امواتاً ، وكلما فيها وما عليها وما يحيط بها وما يخرج منها

من الكائنات من الامهات الاربع : الماء والتراب والنار والهواء ، والمواليد الثلاث : الجماد والحيوان والنبات . . . كل هذه الحقائق ، بجميع اصنافها وانواعها ، ومختلف اشخاصها ، كلها قد تكونت من اجزاء متغايرة وعناصر مختلفة . . انضم بعضها الى بعض ، وامتزج بعضها ببعض ، على نسبة مخصوصة ووضع خاص ، حتى صارت حقيقة نوعية ، لها اثارها الخاصة وخواصها المتعينة .. هذا شجر ، وهذا حجر ، وهذا انسان . . .

ولكل واحد من تلك الموجوادت العينية فسادوصلاح ، ونقص وكمال . وصلاح كل موجود هو عبارة عن ترتيب الاثر المقصود منه ، وحصول الغاية التي خلق من اجلها ، والثمرة المتوخاة فيه .. وفساده عبارة عن تخلف ذلك الاثر ، وعدم حصول تلك الغاية منه . فصلاح الزرع - مثلا - ان يثمر الثمر الجيد والحب الذي يطلب من مثله ، وصلاح المسك بأن تفوح منه الرائحة الطيبة واذا لم تكن له تلك الرائحة فهو فاسد .

واذا تعمقنا في البحث ، ودققنا النظر في الاسباب والعلل ، لا نجد علة الفساد وسبب الصلاح في تلك الكائنات سوى ما يرجع الى امر واحد . . فصلاح الشيء وترتب اثره المطلوب منه انما ينشأ من استجماع اجزائه وانضمام بعضها الى بعض

وارتباطها على نسبة خاصة ووضع معين ، ارتباطاً يجعل تلك الاجزاء المتغايرة شيئاً واحداً ذات اثر واحد ، فاذا زادت تلك الاجزاء او نقصت ، او اختل وضعها الخاص وتركيبها المعين ،فانحل ذلك التركيب وتفككت تلك الاجزاء ، فهناك ياتى الفساد وتلاشى الحقيقة ، ويفوت الاثر المقصود منها .

فمرجع الصلاح - في الحقيقة - في كل الكائنات الى الوحدة والانضمام ، ومرجع الفساد الى التفرق والانقسام .

ولو نظرنا بالنظرة الاولى الى الاشياء التي يعرضها الفساد ، مثل الفاكهة واللحم ونظائرها لانجدفسادها إلا من جهة انحلالها ، ورخاوتها ، وتفكك اجزائها . . وما كان صلاحها الا من جهة تماسك اجزائها وشدة ارتباطها وصلابتها .

وهكذا يتمشى القول في هذا الهيكل الانسانى بالنظر الى كل فرد منه ،فان صحته وصلاحه ليس إلا عبارة عن استجماع اجزائه المقومة له على تركيب خاص ، فلوزادت او نقصت او اختل ذلك التركيب والوضع وتفككت الحجيرات التي تكون منها لحمه ودمه، جاء الفساد ، وعرض المرض ، وتسربت الى جسده العلة . . . واستجماعه لاجزائه بالمرتبة المعينة له تستوجب وحدة حقيقية ، بوحدة الحس والادراك والتعقل ، وهذه الوحدة تستوجب تبادل المنفعة بين الاعضاء .

ومثل ماقلناه في الفرد يأتى القول في المجموع ، واعنى به الامة التي تتألف من الافراد . . وكل فرد فانما هو جزء من اجزائها ، فان صلاحها بالضرورة انما هو بانضمام افرادها ، وشدة ارتباط بعضها ببعض ارتباطاً يستوجب وحدتها الحقيقة، بحيث يعود حال المجموع حال الفرد في حد نفسه ، له روح واحدة وحس واحد ، حتى لو ضربت العين او الانف او اليد احست كل الاعضاء بالالم، واذا ابتهجت العين بمنظر حسن ابتهج البدن كله ، وهكذا اذا انتعش الانف برائحة طيبة انتعش كل البدن . . وكذلك المنافع متبادلة بين الاعضاء ، فاليد تخدم العين وتحامى عنها ، وكذلك العين تخدم اليد كما تخدم سائر الاعضاء ، فاذا تبادلت المنافع وصار كل واحد من الاعضاء خادماً لسائرها، فالكل قائم بخدمة الكل ، فهناك البـــدن الصحيح السوى ، الصالح القوي ، الذي لايتسرب اليه شيء من الفساد .

اما اذا فسد بعض الاعضاء انقطعت علاقته من الباقي وزال الاثر المقصود منه من منفعة البدن وخدمته ، وربما سرى فساده الى غيره ، وكان الواجب قطعه .

هذا حال الانسان فرداً ، وعلى هـــذا القياس حاله مجتمعاً .

فاذا ارتبطت افراد الامة بعضها ببعض ارتباطاً يوجب لها الوحدة

الحقيقية ، تعيش بروح واحدة ، وترمى الى هدف واحد ، وتكون بمثابة الجسد الواحد الصالح الصحيح الذى يسعى كل فرد من المجموع لخدمة المجدوع ، واذا تألم فرد منه تألمت جميع افراده كما قال ـ صلوات الله عليه ـ : « المؤمن من المؤمن كالعضو من الجسد ، اذا تألم عضو اصيب سائر الجسد بالسهر والحمى » . . .
هناك تصير الامة بافرادها كانها بنيان مرصوص، فتتضاعف القوة ، وتتوحد القوى ، ولا يتسرب اليها شيء من الفساد ، وتدرأ الاخطار والكوارث عنها بفضل قوتها المجتمعة ، وصارت امة صحيحة حية ، صالحة قوية ، لها مجدها وكيانها ، وعزها وشأنها .

اما اذا كان كل فرد قد انقطعت علاقته من المجموع ، وزال ذلك الربط وتمزقت تلك الوحدة ، وصار كل فرد ـ فضلا عن انه يشتغل لنفسه ويعمل بفرده ـ يسعى لهدم اخيه والاضرار به وخرابه ، فقد خرب بيت الجميع ، وانهدم صرح الامة من اساسه وهو على رأسه . . فسدت الامة باجمعها ، وزال عنها كل عز وملكة ، ووقعت في اسوأ الهلكة ، واصبحت فريسة للذئاب وطعمة للكلاب . . . كما اصبحتم تشاهدون كل هذا باعينكم .

ثم ان الفساد الذي هو الانحلال والتفكيك إنما ينشأ مما كسبت ايدي الناس من عدوان بعضهم على بعض ، وحب الغلبة

والاستيثار الناشيء كله من الجهل بصالح الفرد وصالح المجموع وان صالح المجموع هو صالح الفرد .

الفساد هو ان يصبح كل انسان لايهمه إلا امر نفسه ، ولا يبالي بما اصاب اخاه او صديقه او جاره او رحمه ، ولا يواسيه في سراء ولا ضراء . . وبهذا ومثله يظهر مغزى قوله ـ تعالى ـ : « ظهر الفساد في البر والبحر » من تقاطع الامة الواحدة وتفككها وبغض بعضها البعض ..فعندها « يذيقهم الله بعض ماعملوا » فترتفع البركات ، وتنقطع الخيرات ، وينزل البـــلاء ، ويحجب الدعاء ، ويحبس غيث السماء . وفي الحديث : « اذا رضى الله عن قوم انزل عليهم المطر في وقته ، وجعل المال في سمحائهم ، واستعمل عليهم خيارهم ، واذا سخط عليهم حبس المطر عنهم ، او انزله في غير وقته، وجعل المال في بخلائهم ،واستعمل عليهم شرارهم » الحديث.

اذاً فصلاح الامة حاله حال سائر الموجودات ، والكائنات الحيوية ، وكل ما على الكرة الارضية ، اذا اجتمعت تكون صالحة في المجتمع ، ولا يكون صلاحها الا بتضامنها وانضمامها ، بحيث تعيش بروح واحدة ، تتبادل منافعها كتبادل اعضاء الجسد الواحد والكل يخدم الكل .

قال امير المؤمنين ـ سلام الله عليه ـ : « الا لا يعدلن احدكم

عن القرابة أو العشيرة يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذي لايزيده إن امسكه ولا ينقصه إن اهلكه ، ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم يداً واحدة ، وتقبض منهم عنه ايد كثيرة » .

اذا مددت يدك الى قومك فقد مدت اليك منهم الف يد ، واذا قبضتها قبضت عنك منهم الف يد . فكل واحد يشتغل بيد واحدة خير لنفسه او يشتغل بالف يد ؟ . . ولعل الى هذا ايضاً الاشارة في الحديث المشهور « يد الله مع الجماعة » .

اذا اتفقت الامة واحب بعضها بعضاً ، كان كل واحد منها تشتغل له الايدى الكثيرة . واذا تقاطعت فكل واحد منها تشتغل في تقطيعه الايدي الكثيرة . . . وهناك الدمار ، والبوار ، وخراب الديار .

العرب كانت من اقدم الامم تجاراً ، واعظمها آثاراً ، واشدها بأساً ، وابعدها في التأريخ ذكرا ، واسماها فخراً . وكانت لهم في الجاهلية مزايا عالية ، واخلاق سامية ، قلما يحصل مثلها في امة من الامم . . . الوفاء ، والاباء ، وحماية الذمار ، وحفظ الجار ، واكرام الضيف ،وصدق الحديث ، والقناعة ، والبساطة . . الى كثير من امثال ذلك . وافضل ما امتازوا به من الصفات

الحسنة صفتان هما من امهات مكارم الاخلاق : « الجـــود والشجاعة » . . وان شئت فقل : الاستهانة بالعزيزين : « النفس والمـــال » :

ولكن . . هل نفعها شيء من تلك المزايا الفـاضلة والسجايا الكاملة ؟ . . كلا ! ثم كلا !

بل كان بأسها بينها ، وقوتها وبالا عليها . فكان اكبر شاغل لها الحروب المستمرة بينها ،فكانت وقائعها الشهيرة ،وحروبها الكبيرة لاتحصى . وقد بلغ توالى الحروب فيها ، وتفاخرها بالسبي والسلب والغارة ، واراقة الدماء بغير حق وعلى غير قاعـــدة وقانون ، الى فوق مايتصوره العقل ، ومايقشعر له الوجدان من الجهل والهمجية في وأد البنات وقتل الاولاد « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » وعبادة الاوثان ، وتأليـــه الاحجار التي يصنعونها بايديهم ويعبدونها . . . فهل كانت الشجاعة والكرم نفعتهم شيئاً ، او جمعت لهم شملا ، او وحدت لهم كلمة ؟ . . كلا ! . . بل كانوا بحيث يقتل الاخ اخاه ، والولد اباه ، والعشيرة الواحـدة بينها حروب كثيرة .

وما يزالوا يتخبطون في سنادس الظلم والظلمات ، وقتـــل الاولاد ولعشيرة . . فكانت امة فاسدة ، وشعباً مبعثراً ، وقوة

متفرقة . . انقلبت الحسنات منهم سيئات ، والملكات هلكات ، والفضائل رذائل . . الى أن لطفت بهم العناية الآلهية ، ونظرتهم عين الرحمة . . فابتعثت اليهم ذلك المصلح الآلهى ، والطبيب الرباني ، والناصح الشفيق ، فصدع فيهم بدعوة الحق ، فوحد كلمتهم ، وجمع قوتهم ، وطهرهم من عبادة الاصنام ورجس الاوثان ، وغسل عنهم درن الاحقاد والاضغان ، حتى صح فيهم قوله ـ تعالى ـ « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » .

نعم ! صدع فيهم بدعوة الحق ، وجاهد وتحمل الاذى في سبيل اصلاح الامة العربية ، حتى وحدت وتوحدت ، وحمدت ربها وتوحدت فيما بينها . . ونفخ فيها من الحياة روحا جديدة ، فاصبحوا جسداً واحداً بروح واحدة ، يرمون الى هدف واحد . . اذا اصيب فرد واحد باذى تألم له جميع ذلك الجسد ، وهو مجموع الامة .

فما كان بايسر من ان ملكوا العالم باجمعه بتلك الروح الطيبة التي تحققت بينهم ، فجاؤا بمدهشات العقول . . . حروبهم التي كانوا يتحاربون فيها بينهم جعلوها على الاعداء ، فكان الواحد

يقابل الالف !

« غزوة بدر » كان المسلمون ٣١٣ رجلاً في مقابل ما يزيد على الالف من جبابرة قريش ، مع ما كانوا عليه من القوة والسلاح وهؤلاء عندهم سبعون بعيراً وفرسان ومع ذلك في يوم واحد ، في موقف واحد ، كسروهم تلك الكسرة الشنيعة . . قتلوا سبعين ، واسروا سبعين . . والاسلام يومئذ ابن سنتين . . ثم اخذوا بهذه الوتيرة وبهذه القوة حتى بلغوا ما بلغوا .

حرب « اليرموك » كان المسلمون ٣٠٠٠٠ واعداؤهم من رومانيا ومن الشام ألف ألف من المشركين ، ومعهم ملوك الافرنج . . فكان كل واحد من المسلمين يقابل ثلاثة آلاف من المشركين ! حتى غلبوهم في سنة ١٦ هجرية .

وفي عين تلك السنة يحاربون من طرف الشام القياصرة ، ومن طرف العراق في القادسية يحاربون الاكاسرة . . .

هكذا كانت قوة الاسلام ، لانهم اصبحوا في روح واحدة ، ترمي لغرض واحد ، ولكن لم تبق هذه الروح على تلك الحالة ، حتى اصبحت تضعف وتتضاءل ، وتأتي عليها العوامل المفرقة ، والسموم القتالة . . الى ان اصبح المسلمون على هذا الحال الذي تراهم عليه .

الاسلام هو الذي هذب تلك الاخلاق ، وجعل تلك الروح صخرة ايمان ويقين .

قالت طواغيت قريش لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في اول الدعوة : كيف نتبعك واتباعك كلهم عبيدنا ـ مثـــل بلال وصهيب وعمار ـ ونحن ملوك العرب وجمرات قريش ؟ فقال لهم : « اتفاخروني بآبائكم احجار جهنم ؟! والله ليكثرن بعد القلة ، وليعزن بعد الذلة ، وسيفتحون ممالك كسرى وقيصر ، ويصير كل واحد منهم صاحب رأي ، فيقال : هذا راي فلان وهذا رأي فلان » الحـــديث .

نعم ! وما مضت على ذلك بضع سنوات حتى ملكوا ممـــالك كسرى وقيصر ، وقذفت لهم خزائن الدنيا بكل ما في احشائها .

الصلاح هو الذي يرفع الامة الى اوج المجد ، والفساد هو الذي يهبط بها الى حضيض الهوان .

الامة الفـاسدة المبعثرة قواها لا محالة تكون طعمة للكلاب وفريسة للذئاب . الامة التي لا تحفظ كيانها ، ولا تشيد بنيانها ، ولا تعيش عيش الصلاح ، لابد وان تصير طعمة للغير . والقوي بالضرورة يأكل الضعيف . ولكن أنى لنا بالصلاح ، وايـــن المصلحون ؟؟

فسدت الاخلاق فساداً يعجز عنه نطس الاطباء ، وعادت الامة العربية الى جاهليتها الاولى يوم كان يقتل بعضها بعضاً . . القلوب مشحونة بالاحقاد والاضغان والدسائس . . . انقلبت المسألة رأساً على عقب ، واصبح كل منا يريد هدم الآخر ويسعى في هلاكه .

فسدت الاخلاق وساءت النيات ، فحقت علينا «كلمة العذاب» ، واذاقنا الله وبال بعض ماعملنا الا وبال كل اعمالنا ، فان ذلك موكول الى يوم آخر ودار اخرى .. اذاقنا وبال بعض اعمالنا لعلنا نرجع اليه ونستدرك امرنا « ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » .

ولما كانت الامة العربية صالحة صحيحة ، مجموعة كلمتها ، متحدة قوتها ، حق لها وعد ربها حيث قال : « ولقـــد كتبنا في الزبور من بعد الذكر : ان الارض يرثها عبادي الصالحون » . .

نعم ! ورثوا الارض وقبضوا على قرني الشمس من مشرقها الى مغربها . . من الصين الى المحيط الاطلانطيق . . جيوشهم في وقت واحد مع « العلاء الحضرمي » في الشرق ، ومع « طارق بن زياد» في الغرب ، حتى فتحوا الاندلس ، واصبحوا إما ملوكا على الملوك والممالك ، او يأخذون الجزية والاتاوة منهم . . . ولما دب الفساد فيهم ، غلبت عليهم الامم ، واصبحوا نهزة كل طـامع ونهسة كل

ماضغ . ويستحيل ان نعيش ونحيا كامة من الامم ونحن على هذا الحال التي نحن فيها ، والاخلاق الفاسدة التي تخلقنا بها . اصبحنا على كثرة عددنا مملوكين ومحكومين ، اذلاء مقهورين .

وادهى من ذلك كله : اننا لا نحس بما نحن فيه .. تخدرت اعصابنا وكأنما ضرب كل واحد منا بعشر أبر من « المورفين » ، فصرنا لا نحس بالالم فضلا من ان نأخذ التدبير لعلاجه .

نعم ! صرنا جميعا على حد ما وصفه ـ سلام الله عليه ـ : « اضرب بطرفك حيث شئت من الارض ، هل ترى إلا فقيراً يكابد فقراً ! او غنيا بدل نعمة الله كفراً ! او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفراً ! او متمردا كأن باذنه عن سمع المواعظ وقراً ! » .. نعم سنة الله في الكون التي لا تتغير ولا تتبدل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

كل طبقة من الطبقات فاسدة . وما من طبقة الا وهي محتاجة الى الاصلاح . كل طبقة في نفسها اصبحت منحلة .. اخلاقها سيئة ، مداركها منحطة ، لاتعرف رشدها ، ولا تهتدى الى سبيلها ، ولا تدرى كيف تعيش وكيف تحيا .

هذا العالم الاسلامي العظيم الذي يكاد يملأ نصف الكرة .. « ٤٠٠ مليون » او « ٦٠٠ مليون » لو يرتبط ويتفق ، بحيث يشعر

بشعور واحد ، ويعيش بروح واحدة .. هل كان يعقل ان هناك قوة تقابله او تتغلب عليه ؟ .. كلا ! وهيهات !

ولكن انى لنا بذلك ونحن لا نقدر ان نتفق مع اخينا ، ولا نستطيع ان نتفاهم مع صديقنا او جارنا ؟ ! .. أهل بيت واحد لايتفقون ولا تكون فيهم روح واحدة يتبادلون في المنفعة ويشتركون في الفائدة ويدافع بعضهم عن بعض ، فكيف بذلك العالم الشاسع الاطراف ، الواسع الاكناف ، المشحون بالبغضاء والعداوات ، والخصومات والمنازعات ، على اوهام فارغة وتخيلات واهية ... لا صدق ولا امانة ، ولا تعقل ولاروية .. نختصم في كل شيء ، وليس لنا من الامر شيء ، ولم يبق بيدنا شيء يستحق المنازعة .

اجدادنا العرب جاؤا الى الخليفة « عمر بن الخطاب » بتيجان كسرى وحلله وعرشه ، وفيها من الجواهر واليواقيت ما يختطف الابصار ويدهش الافكار ، فتعجب الخليفة من ذلك وقال : « ان امة تؤدي مثل هذا ولا تخون شيئاً منه لأمة امينة يوشك ان تغلب على سائر الامم » .

كانوا يؤتمنون على تلك النفائس العظيمة .. ونحن لا نؤتمن على اعراض اخواننا ، ولا على اموالهم ، ولا على شيء منهم ... ونخونهم في كل شيء ، ويرمى كل واحد منا اخاه بالعظائم ،

ويقذفه بالفظائع ، من غير ذنب ولا جناية ! . . ذهب المتاع ، وبقيت الخصومة والنزاع . .

تنازع اثنان على خرج في فلاة من الارض ، فجعلا يتضاربان ويتلاكمان والخرج مطروح خلفهما . . فجاء سارق فسرق الخرج وولى ! . . وبينا هما مشغولان بالتضارب والتسابب ، اذ التفتا فلم يجدا الخرج ، فكان حظهما الملاكمة والمخاصمة ، والسارق اخذ الخرج غنيمة باردة . . . وهكذا نحن ايها المسلمون ، قد تخاصمنا وتشاتمنا ، وكانت الغنيمة لغيرنا .

ايها الناس !

اللص اخذ « الخرج » . . فعلام هذه النزاعات والخصومات ، والبغضاء والعداوات ؟ . . علام هذا التضارب والتنافس ؟ . . كل واحد منا يملأ قلبه حقداً وحسداً على اخيه !

ايها الناس !

الوعاظ والذاكرون والخطباء يخوفونكم من نار جهنم في الآخرة ، ومن اغلالها وسعيرها وسلاسلها وحياتها وعقاربها . . وانا احذركم من نار جهنم في الدنيا . . هى نار العداوة والبغضاء تلك « نار الله الموقدة ، التي تطلع على الافئدة » . . نار العداوة في الدنيا هي التي تتكون منها نار جهنم في الآخرة . . النمائم هي

التي تصير في القبر عقارب وأفاعى . . . الضغائن والاحقاد هي السكاكين التي قطعتكم ومزقتكم وجعلتكم طعمة للاغيار . هذه الاخلاق الذميمة في الدنيا ، هي عين نار جهنم في الاخرة . الاعمال تتجسم ، والاخلاق تتصور ، كل واحدة بما يناسبها .

« الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً » . . نعم ! مال اليتامى اليوم هو عين النار غداً .

ايها الناس !

يوم الدنيا يوم الطى ويوم الآخرة يوم النشر .

النواة في عالم الطي نواة وفي عالم النشر شجرة ، وقد انطوى في النواة كل ما في النخلة من سعف وجريد وتمر وغير ذلك . . .

وهذه الاخلاق الرذيلة ، التي تبعثنا على الافعال الذميمة المنطوية فينا ، تظهر في يوم النشر حيات وعقارب ، واغلال وسلاسل ، تكون اطواقا في اعناقنا . . . هى النار والسعير والسلاسل والاغلال حقيقة لا مجازاً . يقول ـ جل شأنه ـ : « ذوقوا ماكنتم تعملون » . . . ومنشأ كل تلك الرذائل هي الحرص والجشع والتهالك على الدنيا ، وكله ينشأ من عدم الثقة بالله ـ عز شأنه ـ .

تريدون النصائح وهي موقوفة على ابداء الحقائق وذكر

السيئات والمعايب ، واخشى ان ينهتك الستار ، ويرتفع الحجاب ، ويظهر العار . كل واحد مناحبله على غاربه ، لارادع ولامانع ، ولا هادي ولا مرشد . . واذا عم الشر على البشر هلك الجميع .

هذه صفاتنا واحوالنا النفسية . اما اعمالنا من حيث السرف والبذخ والتبذير ، فهو الداء العضال الذي قتلنا . فلو كان هناك نفوس شريفة ، وعلو همة ، ورجال عزم واباء ، وفتيان شمم وشهامة ، لنسجوا والله ثيابا من « خوص النخل » واستغنوا بها عن الملابس الاجنبية ! . . وهل الذل والعبودية الا الحاجة ؟

« احتج الى من شئت تكن اسيره » . . كيف اشتري وادفع روحي وحياتي الى الاجنبي ؟ !

« درهمك دمك ، فلا تجره في غير عروقك » .

ذهب عزنا يوم صرنا محتاجين الى الاجانب في كل شيء حتى « الخيط والابرة » ؛ ويوشك ان نحتاج اليهم حتى في الخبز والماء . سقط العراق ـ كما تعلمون ـ في اعمق حفائر الفقر والفاقة ، « ذهب الذهب وذهب كل شيء » . . فالتجارة خسارة ، والزراعة اضاعة . . وأي حياة لبلاد لاتجارة فيها ولا ارباح ولا زراعة ولا صناعة ؟ !

الشبان

ايها الشبان !

ايها الاولاد ! . . . ايها الاكباد ! . . ياز هرة البلاد ! . . .

المستقبل لكم ، والبلاد بلادكم . نحن على وشك الرحيل وانتم الخلف . ما هـذا البذخ والترف في الاموال التي تسمونها «الكماليات» وهي عين النقصيات ؟ اكل اوضاعكم سرف وتبذير. ما هذه الربطة التي تضعونها في العنق ؟ . . هي والله رباط الذلة ، هي رباط العبودية . . . ما هذه السفاسف والزخارف ؟ . . . لو انكم تجمعون تلك الاموال التي تبذلونها لهذه الامور التافهة ، وتشترون بها تيك الفضول ، لاجتمع عند المسلمين اعظم ثروة ، تستطيعون بها تأسيس مدارس عالية ، وكليات اسلامية ، تغنيكم عن الهجرة الى بلاد الاجانب التي تمتص اموالكم ، وتفسد اخلاقكم ، وتمحق اديانكم . اما كان احق بكم واحرى عوض تلك الزخارف ان تجمعوا اثمانها لمستشفيات تحفظ صحتكم ، وصحف تنور شبابكم وتثقف عقولكم ؟

الاسراف والتبذير

ناهيك بالسرف في المأكولات والمشروبات، مما تجلبونها من الاجانب . . . كلنا نسعى على هلاك انفسنا من حيث ندرى ولا ندري، وبهذا صار كل قطر من اقطار المسلمين يئن من مخالب الاستعباد، ويرزح تحت نير الاستعمار . . والمسلمون ضعفاء في اوطانهم، اسراء في نفس بلادهم، اذلاء في عقر دارهم .

العز في الثروة، فاذا ذهبت الثروة ذهب العز. وماملك الغرب الشرق الا بالصنائع، وامتصاص ينابيع الثروة منه .

وديننا الشريف جاءنا بكل المصالح التي تعود علينا بالثمرات وابان لنا ضرورة الاقتصاد . . . « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »، « ولا تبسط يدك كل البسط » .

أليس الامام زين العابدين ـ عليه السلام ـ يقول : « اللهم متعني بالاقتصاد، واجعلني من ادلة السداد، ومن صالحي العباد. وامنعني من السرف، وحصن رزقي من التلف، واقبضني عن التبذير، وعلمني بلطفك حسن التدبير، واجر من اسباب الخير ارزاقي، ووجه في ابواب البر انفاقي .. اللهم صن وجهي باليسار،

ولا تبتذل جاهي بالاقتار ، فأسترزق اهل رزقك واستعطي شرار خلقك ، فافتتن بحمد من اعطاني ، وابتلى بذم من منعني ، وانت من دونهم ولي الاعطاء والمنع . . . » .

ايها الشبان !

البذخ جنون ، والتبذير تدمير ، والسرف تلف ، والتدبير عز وبركة . اذا بقينا بهذا الفقر وبهذه الذلة متى يمكننا النهوض؟!

ايها الشبان !

مهما كان الامر فعليكم المعول ، والمستقبل اليكم ، ونحن راحلون . اتدرون ماذا تعملون ؟ وفي اي اودية تهيمون ؟ . .

متى يرجى بالولد ان يكون من رجال الغد . . رجل حق وصدق ، رجل نشاط وعمل . . وهو يقف ساعة امام المرآة كل صباح ومساء ، بين الاصباغ والادهان ، والزينة ، ونتف كل شعرة من وجهه ، حتى يبرز بهذا التخنث والتأنث ، وكأنه بنت مبهرجة ! افبهذا تريدون ان تصيروا رجالا بواسل كاسلافكم الاقدمين الذين فتحوا الفتوح ، وملكوا الملوك ؟ !

يجب على الرجل ان يكون صلباً خشناً ، يسمو الى معالى الامور ويتعود على المصاعب . . لاعلى الترف والنعيم . اذا لم يتعود على مكافحة المصاعب لايكون رجل صدق وزعيم حق ، واذا تعلم على

الزينة والبذخ متى يكون رجلا عاملا يدافع البهم ويكافح الامم.
تحترق عليكم اكبادنا يا اولادنا .. مستقبلكم مظلم ، وخططكم وخطيآتكم مهلكة .

فلسطين والمؤتمر الاسلامى

عم البلاء ، واستحكمت حلقات المحن ، واشتد كابوس الضغط على كل قطر من اقطار المسلمين ، واصبح الإسلام في آخر رمق من الحياة ، وفي حضيرة من الاحتضار .. ولكن الله - سبحانه - له عناية في دينه مهما تجرأنا وتمردنا عليه ، وان دينه عزيز عليه ..

على طف جزيرة العرب ، وفي الجانب الغربي منها ، امة من الناس . لسانهم لساننا ، ودينهم ديننا ، وكتابهم كتابنا ، وقبلتهم قبلتنا ، والدم الذي يجري في عروقهم من دمنا ودم آبائنا .. قد نشبت بهم منذ سنين اظفار « الصهيونيين » ومخالب الاستعمار ، ووقعوا بين ذا وذاك ، بين كابوسين ، بل بين طابقين من نار .. حتى اصبح ثلاثة آلاف عائلة من المسلمين - او اكثر - بلا مأوى ولا مقر ... اخذت الصهيونية اراضيهم ، واستنزف الاستعمار

الغاشم اموالهم ، واجلوا الى شعف الجبال القاحلة ، حيث لازرع ولا ضرع .

الصهيونيون يبذلون لهم الأموال فيشترون اراضيهم، ويعدونهم بابقائهم فيها ـ لفلحها وحرثها ـ . . ثم بعد قليل يطردونهم . . والضرائب الباهضة من وراء ذلك يستنزف تلك الاموال . . فيصبح اولئك المساكين لا ارض ولا مال ، ولا مقر ولا مفر !

فلو كان المسلمون امة لها قوة ومنعة ، وكالجسد الحى الصحيح الذي يتألم بعضه لبعض ، لكنا نغار عليهم ، وندافع عنهم بكل ما في جهدنا . ولكن من اين وانى ونحن كناقش الشوكة بالشوكة وضلعها معها ؟ ! اريد ان اداوي بكم وانتم دائى !

نعم ! هناك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . فنهضوا نهضة الاسد الخادر ، ووقفوا سداً منيعاً عن ان يجرف ذلك التيار صروح الباقين ، واستغاثوا باخوانهم المسلمين من اطراف الارض فحضر ثلة من فطاحلهم في « المؤتمر الاسلامى » الذى بعث الله فيه من روحه ونشر عليه منه جناح بركة ورحمة . . ذاك حين علم ـ جل شأنه ـ بما انطوت عليه جوانح الداعين والملبين من روح الاخلاص والحفيظة ، فنصرهم لما نصروه ، ووازرهم لما وازروه « ولينصرن الله من نصره » ، « وكان حقاً علينا نصر

المؤمنين » . . . فتقدم المؤتمر بنجاح لم يكن بالحسبان ، وفشلت كل المساعى والدعايات التي وضعت في سبيل احباطه وفشله من « مستأجرى الصهيونية » واذناب الاستعمار وابواقهم . . وكذا اذا اراد الله امرآ هيأ اسبابه .

وما كانت اعمال المؤتمر ، وجهود اعضائه ، ومحكمات مقرراته ، تخص بالفائدة اهل فلسطين فقط ، بل هو لصالح المسلمين اجمع ، في جميع اقطار الارض .

نعم ! غرس طيب غرسناه لكافة المسلمين في تربة طيبة ، فان احس المسلمون واحسنوا القيام بواجبهم فسقوا ذلك الغرس وتعهدوه نما واثمر وآتى اكله شهياً طيباً ، ونال الجميع حظهم منه ، وان تركوه واهملوه كما كان الغالب في سائر اعمالهم - لاسمح الله - قضى عليه في مهده ، واصبح كان لم يكن شيئاً مذكورا . . وهناك الخزي والعار على المسلمين عند سائر الامم ، ولا تقوم لهم قائمة بعد هذا ابدا . . فلينظروا لانفسهم ، فهذا هو الحد الفاصل بين الموت والحياة .

ما يلزم المسلمين

من الجمعيات وجمع المال

انظروا للمستقبل ايها المسلمون !

تداركوا امركم ، وانظروا مستقبلكم ، واجمعوا شملكم .

هاتيكم الدول كلها منذ فرغت من الحرب الكونية الى اليوم ما انفكت تجمع قوتها ، وتوفر اموالها ، وتشحذ اسلحتها ، وتزيد عددها وعدتها ليوم مشئوم على الشرق ، بل على العالم اجمع . ولا ادرى اقريب هو ام بعيد ، ولكن الساسة ونوابغ الرجال يتنبأون بحرب عالمية كبرى ، ولا محالة ستكون اعظم من الاولى . . . افلا يتحتم عليكم ان تنظموا صفوفكم ، وتصلحوا شؤونكم ، وتوحدوا كلمتكم . . حتى اذا دهمكم البلاء اتاكم وانتم على بصيرة من امركم ، وعدة واستعداد من معرفة مصيركم ؟ . . . قد تسرب الفساد الى جميع الطبقات ، وكل طبقة تحتاج الى الاصلاح ، سنة الله في الكون التي لا تتغير ولا تتبدل .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

والاصلاح لا يتسنى الا بتشكيل نقابات . . وهي تحتاج الى هيئة عاملة مشرفة ، تتصدى للتنظيم ، وتجعل لكل صنف هيئة تنتخبها لتدبير شؤون ذلك الصنف ، وتسعى لاصلاحه وجلب مصالحه ، ودفع الاخطار عنه ، واصلاح ذات بينهم ، وحسم ما يقع من الخصومات بين افرادهم ، والسير بهم الى المساعي النافعة والاعمال المثمرة ، وجمع مقدار من المال للكوارث والبلايا التي تنزل بهم من غير حسبان .

فلو ان هذه البلدة الطيبة ، التي دعانا اهلها لزيارتهم ، وساعدتنا العناية بهم على اجابتهم . . يجمع في كل يوم من كل فرد ربع « آنه » اي في الشهر نصف « ربية » لوجدوا كم يجتمع في السنة عندهم من المال ، الذي يتمكنون به من انشاء المشاريع الخيرية النافعة لهم ، ولا يتصور باذل هذا المبلغ الزهيد انه يدفع المال لغيره ، بل فليكن على يقين انه يجمعه لنفسه ، وهو كصندوق احتياطي له ، يعود بالنفع عليه وعلى اخيه وجاره وولده وارحامه وقومه .

نعم ! يحتاج هذا الى نهوض جماعة من اهل الهمة والنشاط ، ومن ذوى الشخصيات اللامعة ، ليجمعوا المال بحنكة وحكمة وامانة وحسن تدبير . . فلو عملوا على هذه المناهج لاجتمع عندهم

من القليل كثير ، وامكنهم بهذا ان يساعدوا « المؤتمر » وغير المؤتمر ، وكل شيء .

ومهما بلغت الازمة والضعف باهل العراق ، فانها لا تبلغ الى العجز عن بذل تلك المبالغ الزهيدة وذلك المقدار البسيط ، الذي لا يكاد يحس . . . على ان دفع المقادير الكثيرة على اهل الهمم العالية ليس بكثير .

كان في « الاستانة » جامع منهدم في بعض محلاتها البعيدة المهجورة ، لذلك ابت الحكومة عن بذل المصارف لتعميره ، فنهضت الحمية برجل من المسلمين ضعيف الحال ، أخذ العهد على نفسه ان يجمع ثمن كل مايمكن الاستغناء عنه من لباس ومأكل ومشرب ، ويجعله في صندوق لاسبيل الى فتحه . . فكان اذا اشتهى فاكهة - مثلا - او ثوبا جديداً أو نحو ذلك منع نفسه عنه وطرح ثمنه في الصندوق. وبعد مرور سنتين أو ثلاث اجتمع في الصندوق مال كثير ، فاخرجه وبنى به ذلك الجامع بناء فخماً ، ووضع على بابه صخرة كبيرة مكتوبا عليها باللغة التركية : هذا جامع « كاني اكلت ، كأني شربت ، كأني لبست » !

العمل والنشاط

العمل العمل . . ايها الناس !

فوالله ما ترقى الغرب الذي ملك العالم الا بالعلم والعمل ! وما سقط الشرق وتأخر الا بالجهل والكسل ، والخلاف والجدل .

الخلاف هو الذي يهدم الرأي ، ويهلك الامة . . النزاعات هي آفتنا القتالة المهلكة ، ولاشغل لنا سواها . وكلها على اوهام خيالية فارغة عكس ما امر الله - سبحانه - به ، وما جاءتنا به الشريعة السمحاء المهذبة للاخلاق ، الكفيلة باقتلاع كل الجراثيم التي تقضي بهلاك الانسان وهلاك امته .

ان شريعة الاسلام جمعت السعادتين: سعادة الدنيا ، وسعادة الاخرة . واخذت بالعدل ، وزادت عليه بالعفو والفضل . . . « الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » ، « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وزين العابدين - سلام الله عليه - يقول في دعاء مكارم الاخلاق من زبور آل محمد : « اللهم صل على محمد وآله ، ووفقني لأن اعارض من غشني بالنصح ، واجزى من هجرني بالبر ، واكافي

من قطعني بالصلة ، واخالف من اغتابني الى حسن الذكر » .

اما نحن . . فقدعكسنا هذه القواعد الذهبية، وصرنا نجازي من نصحنا بالغش ، ومن برنا بالهجر ، ومن وصلنا بالقطع . . وكلما اصابنا فيما كسبت ايدينا ، وقدارشدنا المصلحون .. ولكن نحن الضايعون والمضيعون .

الحفاوة والحفلات

وجدنا من المسلمين في سفرنا هذا من العراقيين وغيرهم من اهالي « فلسطين » و « سوريا » من كل من مررنا عليهم . . اكمل الحفلات ، واكرم الحفاوات . وجدنا منهم الشعور الرقيق ، والتأثر العميق ، والسخاء العربي ، والحفيظة الاسلامية ، وكلما يرق ويروق للناظر والسامع من هذه الطلائع . ولا شك ان مساعيهم مشكورة ، واجورهم عنده ـ تعالى ـ مذخورة . . ولكن هل في شيء من ذلك ما يشفي العلة ويبرد الغلة ؟

ان الذي يراد من المسلمين ، والذي يجب ان يسعى اليه الجميع ، هو العمل المنتج ، العمل المثمر ، العمل الذي ينفعهم في الدارين .

لا نريد حفاوة ولا تكريماً ، ولا تجلة ولا تعظيماً . . نريد ان تكونوا رجالا اشداء على الاعداء ، اقوياء في عزائمكم ، رحماء فيما بينكم . . امة صحيحة صالحة ، واسود مجد وسؤدد يحامي بعضهم عن بعض . . . هذا الذي يسرنا منكم ، هذا هو الذي ينعش قلب الرجل الناصح ، ويطرب سمع المجاهد المخلص . . اما هذه الحفاوات ، فماذا انتفع بها انا ، وماذا تنتفعون انتم بها؟

اريد ان تكون الابناء كالآباء في النخوة والاباء ، والاولاد كالاجداد في الحزم والسداد ، والخلف كالسلف في العز والشرف . ضحك لهم الدهر وعبس علينا ، وما ادري احسن اليهم واساء الينا ، ام كل ذلك مما جنيناه على انفسنا ؟ !

عبسن لنا وجوه الدهر حتى تناهشنا باثياب حداد

فلا ندري السقوط باي غور ولا ندري الهبوط باي واد

وكنا نجتني ثمر المعالي فصرنا نجتني شوك القتاد!!

أيليق بامثالكم ان تغمرهم الفترة ، وتمر عليهم السنوات وهم في سنة الغفلة ؟ . . الا تبعثكم الشهامة ؟ . . الا تحفزكم الكرامة وانتم سلائل اولئك البواسل الفاتحين الذين فتحوا هذه الممالك واوجدوا لكم هذا العز العظيم ؟

يا أهل شريعة الكوفة !

قد اجبنا دعوتكم ، ووفينا بوعدكم ، وانتم تطلبون منا مواعظ ونصائح ، ولا اجد جزاء لكم وعاطفة عليكم الزم واهم من ان انصحكم في شيء واحد : اوصيكم - وكل المسلمين - بتصافي القلوب ، ورفع الحزازات والبغضاء ، وتعاطف بعضكم على بعض ، بحيث تكون لكم وحدة وتضامن ، وتتوثق ما بينكم عرى الاخوة وروابط المحبة . . اجتمعوا واجمعوا المـــال اليوم الاسود الذي سيغشى العالم لامحالة .. ساعدوا الضعيف ، ارحموا اليتيم ، اقبلوا عثرات ذوي المروءات ، وخذوا بيد من رماه الدهر بنكبة من النكبات .

ايها المسلمون !

دين الاسلام دين الفطرة ، دين الرحمة والبركة ، دين العلم والعمل ، لا دين البطالة والكسل .

الاسلام دين التوحيد ، يعني يوحد الله في العبادة ، ويوحد المسلمين في الاخوة .

الاسلام بوتقة تذوب عندها العناصر . . . الكل سواء بالنظر الى الحق والعدل .

دين الاسلام كيمياوي يوحد العناصر المختلفة . . العربي ، والفارسي ، والهندي ، والتركي . . . وكل البشر سواء . اي دين

جاء للبشر بهذه السعادة ؟ . . « انما المؤمنون اخوة » ، « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا بينكم ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

اذا اردت ان تتزعم وتترأس اخدم امتك ، اخدم وطنك ، فان الزعيم المحبوب خير من الحاكم المرهوب .

الزعيم المحبوب هو من يخدم امته ويخلص لوطنه وقومه ، من يدافع عن كلمة الحق ، من يثبت على مبدئه ، ويسهر لمصلحة بلاده. ليس الزعامة بالدعاوى والفخافخ . . اخدم تجد خداما .

ايها الناس :

انا داعي الله.. انا داعي الحق.. انا داعي الوحدة.. انا داعي الصلاح والاصلاح . . اخشى بدعوتي هذه وفي مقامي هذا ان تتم عليكم الحجة . . اذا لم تنشطوا للعمل ينزع الله عنكم البركات ، ويرفع الخيرات ، ولا يكون لنا في السماء عاذر ، ولا في الارض ناصر .

السياسة والاصلاح

انا لا اؤيد السياسة ولا اعارضها . . لا اؤيد ولا افند . . ولا امدح ولا اذم ... ولا زلت اقول : ان السياسة جمرة نار احسبها

ولا ألمسها . . اراها بعيني ولا امد لها يدي . لا اقول هذا خوفاً ومجاملة ، ولا طمعاً ولا رجاء ، فان الله ـ سبحانه ـ قد عافاني من رذيلتي خوف الناس ورجائهم . . من كان قوى الثقة بالله لا يخاف ولا يرجو الا الله . . . ولكن اقول ذلك علماً واجتهاداً ، ويقيناً واعتقاداً .

كان السيد الافغاني ـ رحمه الله ـ يقول :

« الاحزاب السياسية للأمة نعم الدواء ، ولكنها في الشرق تنقلب غالبا الى شر داء » .

ومعنى ذلك : ان الاشتغال بالسياسة لاينفع الامة الا اذا كان منبعثاً ومتشبعاً بروح الاخلاص . والاخلاص عزيز .

السياسة مع المطامع داء ومع الاخلاص نعم الدواء ... هذا معاني اعتقد ان الامة لاتسود الااذا كانت اراء المعارضين محترمة لديها مقدسة عندها ، والحقيقية ضالة الجميع ، ولعلها في جانب خصمك اكثر مما في جانبك .

فاجتمعوا وتحابوا وتفاهموا ، عساكم تصيبوا الحقيقة .

يلزمنا ان نصلح انفسنا قبل كل شيء . كيف نأمل ان نصلح الممالك والحكومات ونحن غير صالحين ؟ ! نحن بعد لم نصلح شؤون بيوتنا ، واخلاق عائلاتنا واولادنا ، واهل بلادنا . . .

فكيف نستطيع اصلاح غيرنا ؟ . . لنصلح انفسنا ، ونعلم ابناءنا واهالينـــا .

اننا اذا اردنا ان نعيش امة حية قوية ، مثرية غنية ، يلزمنا ان نلبس من غزل ايدينا ، ونأكل من نتائج اراضينا ، ونستغنى عن مصنوعات غيرنا جهد امكاننا .

هل الاسر والعبودية الا الحاجة ؟ . . ونحـــن في كل شيء محتاجون الى غيرنا (الصغيرة والكبيرة) . . وكل ذلك من ضعف الارادة ، وقصور الهمة ، وتشتت الكلمة. الاخ مع اخيه ، والوالد مع ولده ، وكل قريب مع قريبه غير متفاهم ولا متصافي . . القلوب مشحونة بالبغضاء والشحناء على اوهام لاوجودلها وتخيلات لا حقيقة فيها !

كان لرجل بستان خرج منها الى داره القريبة منها ، وبينا هو راجع من بيته لبستانه ، فاذا برجل خرج من البستان راكضاً خائفا وجلا ، فقال له صاحب البستان : ما دهاك ايها الرجل ؟ وما هذا الخوف والاضطراب ؟ فقال : دخلت هـــذا البستان لاستريح قليلا واذا به مملوء بالضباع ! . . فاستغرب البستاني ذلك ، اذ قد فارقه قريباً ولا شيء فيه . . فقال له : كم عـــدد مارأيت فيها من الضباع ؟ قال : مائة على الاقل ! فقال له : اظنك

مشتبها ، فتأمل جيداً ، فتنازل الى الخمسين . . ولم يزل البستاني يشككه ويأمره بالتدبر والتروي الى ان قال : اما الواحد فلا شك فيه ، وقد رأيته الآن بعيني ! فقال البستاني : نعم هذا جائز فهلم معي الى البستان كي تدلني عليه ولا تخف . فدخلا البستان، واذا على شجرة منها عباءة سوداء منشورة ، ظنها الضعيف القلب ضبعاً . . ثم غلا في وهمه وجعل الواحد مائة ! !

وهكذا نحن بعضنا على بعض ، نسيء الظن باخواننا ثم نجعل الواحد مائة . . وفي الحقيقة لا واحد ولا مائة . ويشيع الواحد منا على اخيه العيوب والمخازي ولعله بريء منها جميعاً . . مع ان الله ـ سبحانه ـ امر بالستر ونهى عن اشاعة الفاحشة .

ايها الناس !

قد بذلت لكم النصائح ، ودللتكم على العلل والامراض ، وشخصت لكم الداء والدواء ، ولا اريد بذلك جاهاً ، ولا مالا ، ولا زعامة ، ولا كرامة .. انا بفضل الله غني عن ذلك . . ولكن الذي يسرني منكم واعده السعادة لي ولكم ان تندفعوا الى العمل والشروع في المشاريع النافعة ، ولا تتواكلوا ، ولا تتخاذلوا ، فحسبكم مامر وجرى عليكم . واعلموا ان القول وان كثر ، والوقت وان طال ، ولكن ماتكلمت الا من ناحية من نواحي

الحقيقة وحواشيها دون الصميم والصريح منها .. والحقايق كلها مطوية لاسبيل الى بيانها .

الثقة مفقودة ، والالسن معقودة ، والعقول معقولة ، والايدى مغلولة . . فماذا يقول اللسان وهو معقود بالف عود .

اقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم اطلقوا لي لسانيا

ولكن ربما تسألون : ماذا كانت النتيجة والغاية من كل تلك الكلمات وصرف ساعتين من الاوقات .. . فالجواب المختصر الكافي : ان كل امة لها حس وشعور فهى لامحالة تطلب سعادتها .. ولا تحصل السعادة الا بوسيلتين ، ولا تقوم الا على دعامتين : « الاتحاد والاقتصاد». اذا اتحدتم سعدتم، واذا اقتصدتم سعدتم. اذا اتفقتم وفقتم ، واذا اختلفتم تلفتم .

نحن محتاجون الى الاقتصاد في كل شؤون الحياة ، وفي جميع اعمالنا واحوالنا . وليس المراد بالاقتصاد حبس الاموال في جميع الاحوال ، بل الاقتصاد الحرص على جمع المال من سبله المشروعة ، وحبسه عن الانفاق الا في مواضع الشرف او الضرورة . . . الاقتصاد انفاقه في مواضع الشرف لا مواضع السرف والترف والشهوات البهيمية. احرص عليه في موارد السرف، لتنفقه في موارد الشرف.

اين السامعون العاملون باحسن ما يسمعون ؟! . . جعلكم

الله من الذين يقول فيهم ـ جل شأنه ـ : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه » ، ولا يجعلكم ممن قال فيهم : « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » . والكثير من الناس وإن صاروا على هذا الحال وبهذه الصفة ، ولكن لا يأس من روح الله . وارجو ان يكون لكلماتي اثر في نفوس العموم ، لاني اتكلم ـ كما يعلم الله ـ بروح شفقة واخلاص وحنان ورحمة .. اتكلم معكم عن قلب .. والكلام ـ كما قيل ـ اذا خرج من القلب دخل في القلب.

ايها الناس !

انا النذير العريان . . انا النذير المجرد عن كل غرض وغاية سوى غاية خيركم وصلاحكم . . . لذا املي قوى ان كلامي هذا سوف لايذهب ـ بتوفيقه تعالى ـ ادراج الرياح ، ولا يعود ـ كما يقال ـ صيحة في واد ، ونفخة في رماد .

واملي ان يكون تأثيره في « النجف » التي هي بمنزلة الدماغ المفكر من العراق ، وفي « شريعة الكوفة » التي هي بمنزلة الكف والساعد من النجف .

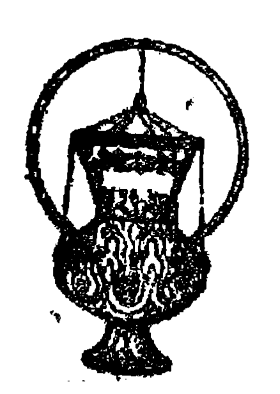
ايها الناس !

انا كما تعلمون « رجل روحاني » . . لست بخطيب ، ولا واعظ ، ولا ذاكر . . ولا استطيع كل يوم ، بل ولا كل شهر ، ان

اقرع سمعكم واسمع جمعكم بامثال تلك الكلمات الرائعة والنبرات اللاذعة ، وانا عند نزولي عن هذه الاعواد سوف اعود الى اعمالي الدينية ووظائفي الروحانية ، من التدريس والصلاة والفتوى ، وارجو ان تشتغلوا انتم بالاجتماع والمفاوضة ، وتعيين الخطط والمناهج .

والله ـ سبحانه ـ يسعدكم ويساعدكم ، ويأخذ بايديكم الى سبيل النجاة والنجاح ان شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



الخطب الاربع

الخطب الارتجالية الاربع التي
تفضل بالقائها سماحة المصلح العظيم ،
حجـــة الاسلام والمسلمين ، الامام
الراحل ، الشيخ محمـــد الحسين آل
كاشف الغطاء على جماهير « العشار »
و « البصرة » و « الحلة » و « النجف
الاشرف » بعد عودته من ايران .

وقد طبعت هذه الخطب في كراس مستقل تحت عنوان
« الخطب الاربع » بمطبعة الراعي في النجف الاشرف
سنة ١٣٥٣ هجرية

تقديم

بلية الأمم في ادوائها الاجتماعية التي تنخر في جسمها كنخر السوس في جذع الشجر ، وتزداد هذه الامراض بتقادم الزمن ومرور الاعوام عليها ، فتصبح اذ ذاك امراً يصعب استئصال شأفته وقطع جذوره ، لانها تكون متينة الاساس قوية الاركان ، فتصير كصفة طبيعية وغريزة نفسية لايسع المجال للقضاء عليها. اما اذا تهيأ لها الانسان بادىء ذي بدء ، واعد العدة قبل ان يتسع الخرق على الراقع ، فذلك امر محمود ، لانه يسهل الطريق، ويوفر الزمان ، ويريح الامة قبل ان يتمكن منها المرض ويزمن الداء ويصعب الدواء .

ذكرنا هذه الكلمة لنعود بها الى امتنا التعيسة النكدة التي ابتليت بالعلل والاسقام منذ زمن غير قليل ، فكانت عللها الاجتماعية هذه تهبط بها الى دركات الذل وحمأة الشقاء وهي لاتشعر بما اصابها من جراء ذلك،لانها تخدرت واستسلمت للقضاء والقدر استسلام الرجل المشفي على الموت، فلا يرتجى الشفاء الا

بالصدفة ، ولا الصحة والعافية الا عن طريق الهلاك .

سارت امتنا في هذا الطريق ولكنها سارت من دون ان تبصر ، وتحركت من دون ان تشعر ، ولا قائد هناك يقودها ، ولا مرشد يرشدها . وشأنها في هذا شأن كل امة هوت الى حضيض الشقاء ، حيث تبقى تلك الامة سائرة على ما هي عليه حتى يقيض لها الله من ينتشلها من هذه الهوة السحيقة ، ويأخذ بها في طريق السعادة ويسقيها من رحيق الحياة المختوم ، فعند ذلك تفتح عينيها من اغماءتها ، وتصحو من سكرتها ، وتعد العدة لنفسها ، وتسير متتبعة الطريق التي رسمها لها منقذها ، منفذة الخطة التي سنها لها مرشدها.. حينئذ تبدأ الحياة من جديد ، وتعيد مجدها الماضي .

لو ألقينا نظرة بسيطة مختصرة الى امم الغرب ، كايطاليا وما اصابها بعد سقوط عاصمتها روما سنة ٤٧٦ م ، لرأيناها تتخبط تخبط العشواء في جنح الليل البهيم الى ان هيء لها من سعى لصلاحها واجتهد في ارشادها ،وكذلك كان لها مازيني وكافور ومن بعدهما غاريبالدى وعمانوئيل .

اما المانيا فانها قبيل حرب السبعين كانت منقسمة الى المانيا الشمالية والمانيا الجنوبية، ولكن بطلها « بسمارك » لم يرض بذلك فاخذ بيدها الى اوج الوحدة .

وكذلك فرنسا فانها لم تتخلص من قيود اباطرتها ونبلائها الا بعد ان قيض لها من انتشلها، امثال فولتير ، وميرابو ، وربسبير ، ودانتون وغيرهم .

اما العرب فحدث عن جاهليتها قبل الاسلام ولا حرج ، ثم من الله عليها بهذا الدين الحنيف الذي صعد بها الى اوج المجد ، ثم سرعان ماعادت الى شبه جاهليتها الاولى ، وفي تلك الفترات التي تاهت بها امتنا كان الله يرسل لها في الفينة بعد الفينة من يشعرها ذلها، ويذكرها حالتها ، وكان شيخنا الحجة في هذا العصر ،وحيد زمانه ونبي اوانه ، لم يزل ولن يزال يسعى في اصلاح هذه الامة وفي رقيها، مجازفا براحته مضحياً كل غال لديه في تشخيص ادواء هذه الأمة وتحضير الدواء لها ، فكان من الاطباء النطاسين الذين فازوا بالنجاح بعد التجربة ، فهو على بعد الشقة وضعف الشعور بالوحدة ، لم تضعف عزيمته او تقل همته ، بل لم يزل يدأب على معالجة ادواء الامة المزمنة منها والموقتة ، يشخص الداء بمنظار العقل والاخلاص والمثابرة ، مركباً الداء التركيب الكيمياوي الذي به خير الامة وعلاجها .

لم يزل شيخنا منفرداً عن اقرانه ، يقوم بالرحلات ويخطب الخطب ويقول المقالات ، يحض الامة ، وينصح افرادها باتباع

طريق السداد ، والسير في منهج الرشاد ، يفضل المصلحة العامة على كل مصلحة تخصه ، يفرغ من جهة ويتحول الى اخرى ، لا يكل ولا يمل ، كأن الله قد زوده بروح منه ، فسار والهدف امامه ، متخذاً ارادته القوية واخلاصه القويم وتجاربه الحكيمة خير ساعد ومعين . فلا زالت مواقفه الشريفة في العراق ، والشام ، وفلسطين ، ولبنان ، والحجاز ، وايران ، ومصر كلها تبرهن على ما بذله في سبيل ترقية امته ، والقيام بواجبه الملقى على عاتقه ، متتبعاً ، ومنقباً عن النواقص ، متطلباً الشفاء لها ، فكانت لنهضته هذه صدى رددته الصحف العربية ، ورجع رجعته الاندية العامة والخاصة ، وهو يثابر حالفاً الله على ان يخلص لامته مهما كلفه الامر ، ومهما حاول بعض المرائين من الحط في عزيمته ، وكانت رحلته الأخيرة التي جاب بها بلاد ايران وكر راجعاً الى وطنه مملوءة بالعظات الغالية والنصائح الثمينة والآثار الخالدة ، فكان كلما يحل ببلدة من البلدان يزود اهله بالكلمات الشريفة والخطب الارتجالية البليغة ، حاضاً اياهم على التمسك بالفضائل ، وخلع الخزعبلات والقشور ، موصياً اياهم بالتزام نصائح الشرع الاسلامى القويم ، والتضامن على الوحدة الصحيحة ، فكانت البصرة، والناصرية، والديوانية، والحلة ممن تزودت بوصاياه الغالية

وكان الكتاب في اكثر المواقف يتسارعون في التقاط مايتفوه به وتدوينه ، فاجتمع لديهم مجموعة نفيسة من النصائح ، وكان آخرها ما رقى به المنبر في اواخر شهر صفر وحض امته على ترك جميع ما هو مخل بالدين ، ومضر بالأخلاق ، ومناف لما نزل به الوحي على سيد المرسلين ، والقضاء على العادات المنكرة التي يقوم بها بعض الأوباش في العشر الأولى من ربيع الأول في النجف ، وقد تهافتت الطلبات على سماحة الحجة ، راجين نشرها في رسالة يسترشدون بنورها ، فتصديت انا لجمعها و نشرها ،ومالى الاخدمة الشعب مقصد .

فما أحوجنا الى امثال هؤلاء الرجال في مثل هذا الوقت الذي تتمخض فيه امتنا عن ظروف عصيبة ، اذ بوجودهم تنتعش وتحيا و بفقدانهم تنتكس وتموت .

وفقه الله في اعماله وسدده في خطاه انه سميع الدعاء .

١ ربيع الثاني ١٣٥٣ هـ   نوري كاشف الغطاء

الخطبة الاولى

هذا ما امكن ضبطه للكاتبين ساعة الالقاء من خطاب سماحته في « جامع المقـام » في المشار يوم ٧ ذى القعدة ١٣٥٢ هالموافق ٢١ شباط ١٩٣٤ م. وقد ذهب اكثر من ثلثها لعدم امكان ضبطه لشدة انحـدار الخطيب في الكلام بين حماسه وتهيجه .



قال ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه المجيد : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ، انما امرهم الى الله ، ثم ينبؤهم بما كانوا يعملون » .

اول حادث حدث في البشرية ، منذ فجر يومها الاول ومبدأ

تاريخها القديم ، ان قتل نصف العالم نصفه ، حيث قتل ابن آدم اخاه . ومن ذلك اليوم اخذت البشرية تقاسي آلاماً وتعاني عللا واسقاما ، ويعادي ويعتدي بعضها على بعض ، وفي كل يوم ينتشر الشر ، ويتفاقم البلاء ، وتعظم الرزية .

على ذلك تعاقبت الايام ، وسلفت الدهور ، ومضت القرون ، ونسلت الأحقاب . . واذا بالفضيلة تهبط الى الحضيض وتتربع الرذيلة على كرسيها ، فتعالى الضرر ، وتفاقم الشر ، واستحكمت العصبية ، وبقى العالم يسود فيه التباغض والتحاسد والتناكر والتفاسد ، ولا شيء فيه من التراحم والتوادد . . غنيهم يستعبد فقيرهم ، وقويهم يفترس ضعيفهم ، يغتصب كل منهم حق صاحبه ، ويشرب كل واحد دم اخيـــه ، ولكن الغاية الازلية ـ جلت بركاتها ـ لم تزل تشفق على هذا المخلوق التعيس ، فترسل اليه رسلا معالجين ، ورجالا صالحين ومصلحين ، واطباء ماهرين ، نبياً بعد نبي ، ووليا اثر ولي ، وصالحاً تلو صالح ، يهدون ويرشدون ، ويعاجلون ويعالجون . . . فلم ينفع ذلك في البشر الا ماشذ وندر ، والشر على ما كان عليه .

ابتعثت العناية نوحا ، وهو شيخ الانبياء واب الرسل ، فخاطبهم بلغتهم ، وابلـــغ في الدعوة ، واقام عمراً طويلا ـ الف

سنة الا خمسين عاما - ليهتف فيهم ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً ، داعياً الى الصلاح والاصلاح ، فلم يؤثر فيهم شيئاً . وكان عاقبة كل ذلك الطوفان ، وما استجاب له ونجا معه الا نفر قليل .

جاء ابراهيم ، وتلاه اسحاق ويعقوب ، ثم جاء موسى - وهو بطل الانبياء والقوي الامين - واعتضد بالمعجزات الباهرات ، من العصا وفلق اليم وامثالها ، فكانت نتيجة بني اسرائيل « اذهب انت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون » . واعظم من ذلك عبادة العجل والتخبط اربعين سنة في التيه .

ثم آل الامر الى عيسى الذي يدعونه بالمخلص ، فاراد ان يخلص البشرية من رذائلها فلم يفلح ولم يصنع شيئاً ، واصبحت امته اليوم شر أمم العالم واشدها في الظلم والقسوة . . ثم كان عاقبة امره الصلب .

كل ذلك والبشرية يتفاقم شرها ، ويتعاظم بلاؤها . . الى ان نفخت العناية بجوهرتها المكنونة ، ولطيفتها المخزونة . . ارسل اليهم الحكيم الأعلى والطبيب الالهي الذي ما فوقه طبيب ، ارسل اليهم سيد الرسل محمد بن عبد الله (ص) ، فشخص داءها ودواءها ، وعرف العلاج الشافي لها ، والدواء الناجع القالع لجرثومة امراضها .

عرف ان الداء العضال والمرض القتال انما هو التفرقة الناشئة من توغل الانانيات والعصبيات الباعثة على التفاخر ثم التنافر فالتقاطع والتدابر..فدك العنصريات، وسحق القوميات، واستهلك العصبيات ، فصرخ الوحي على لسانه « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .ثم زاد وأوضح البيان فقال : « الناس كلهم لآدم وآدم من تراب . لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » ، « ليس منا من دعا الى عصبية » ، يعني لا فخر بعجمية ولا عربية ولا هندية ولا تركية ، وانما الفخر بالعمل الصالح والمزايا الطيبة ، الفخر بالفضيلة واجتناب الرذيلة .

نعم ! العصبية والانانية هي كل الداء ، والاعتماد على الفضيلة هو منتهى الدواء . . عين الدواء بعد ان شخص الداء ، ولم يبق الا الاستعمال ، ولذا كانت شريعته خاتمة الشرايع ودينه اكمل الاديان .

كان ينادي في كل ملأ ومجتمع « اما والذي نفس محمد بيده ! انكم لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تجتمعوا ، ولن تجتمعوا حتى تتحابوا » .

ثم مضى على ذلك صحبه الكرام ، فساروا على خططه ومناهجه واحداً بعد واحد ، فكانوا اخواناً على صفاء . . حتى خاضوا البحار وملكوا الاقطار ، وهم اعراب بادية ، لادرس ولا مدرسة ، ولا كتاب ولا مكتبة . . فتقدموا ذلك التقدم الباهر ، ونجحوا ذلك النجاح الزاهر . . كل ذلك بقوة الايمان ، وعدة الوحدة والاتفاق، ونبذ التفاخر والاختلاف ، حتى اخذوا بقرني الشمس مشرقها ومغربها .

قال امير المؤمنين(ع) في النهج في إحدى خطبه : « الزموا السواد الاعظم ، فان يد الله مع الجماعة . واياكم والفرقة ! فان الشاذ من الناس للشيطان ، كما ان الشاذ من الغنم للذئب ، الا ومن دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هـذه » ويعني بـ « هذا الشعار » شعار التفرقة .

كلت الالسن ، وعجزت الاقلام ، وتعبت الصحف من الدعوة الى الوحدة والتوحيد وبيان ان الداء الدوي الذي انهك الاسلام واهلك المسلمين هو التفرق والتباغض ، حتى صارت الذئاب تفترسهم والاذناب تتريسهم .

فكم قام من حكيم عرف الداء ودعا الى استعمال الدواء ، ولكن لم ينفع ، وبقى الحال على ما هى عليه من سيء الى اسوأ ،

ومن تعيس الى اتعس .

كلت السنتنا ، وملت وتصدعت اقلامنا ، وصرنا نخشى ان نتكلم في سبيل الوحدة او ندافع عن التفرقة ، واصبح حديث الوحدة والاتفاق مهزلة من المهازل !

الصهيونية

قلنا قبل هذا : ان الاسلام قد بني على دعامتين : « توحيد الكلمة » و «كلمة التوحيد» ..توحيد الخالق ، وتوحيد بين الخلايق. كم قلنا وكم نبهنا وكم صرح الحكماء والمصلحون قبلنا ، ولكن هل اثر ذلك شيئاً ؟ كلا ! لا والله حتى صرنا اليوم نخجل ان نتكلم في اتحاد او جمع كلمة ، وحتى عرف رجال الغرب ان المسلمين اتفقوا على ان لايتفقوا ، وابوا إلا ان يتفرقوا ! واصبحت الاذناب تعلو على الرؤوس ، حتى آل الامر الى اسوأ الاحوال ، وصارت الصهيونية التي هي طريدة العالم ونفاة الامم يتكلمون في بلادنا ، ويبثون الدعاية الواسعة بين اظهرنا ، ونحن مشغول بعضنا ببعض ، والبلاء محيط بنا من جميع جوانبنا .

ان الصهيونية من اخطر البوائق واعظم البلاء ..جمعية اقوام متفرقة اعداء الاسلام في بلاد المسلمين ، يجمعون اموال المسلمين ويملكون اراضيهم والمسلمون مشغولون عنهم .

ليست الصهيونية بلاء على فلسطين وحدها، بل هي بلاء على العالم اجمع . . يجمعون الاموال بكل حيلة ووسيلة ، ويرسلونها الى اخوانهم في فلسطين لينشئوا فيه وطناً قومياً .

الصهيونيون يرون ان الاموال التي في ايدي الناس مغتصبة منهم ، وان المال كله في الارض لاسرائيل وبني اسرائيل ، بل الارض كلها لهم ، فيجب ان ينتزعوها من ايدي الناس بكل مكر وخديعة .

اين حميتكم ايها المسلمون واين غيرتكم ؟ اين جمعياتكم واين جهودكم ؟ . . . خمسة عشر مليون كل ما في العالم تلاعبوا بالدول والهبوا نار الحرب والفتن بين عامة الامم مسلمة ونصرانية .

المسلمون اربعمائة مليون تغلبت عليهم تلك الفئه الضئيلة ، حتى اخذوا ازمة الامور ، وقبضوا روح السياسة ، واستولوا على دفة الحكم . . . فما من دائرة من الدوائر في العراق ، بل وفي غيره من الممالك الاسلامية ، الا وتجد لليهود فيها يداً عاملة تنفذ السموم القاتلة ، إذ جميع اليهود على الاغلب صهيونيون ، ولا

احسب يهوديا غير صهيوني .

لقد تخدرت اعصابنا ، وماتت هممنا ، وخمدت عزائمنا ، فاصبحنا اسراء في ديارنا واذلاء في اوطاننا ، ولا نعلم ماذا يراد بنا وكيف يكون مصيرنا .

الله اكبر ! ما اعضل هذا الداء ! . . . كيف لا ينفطر قلب المسلم الغيور اذا بلغه ان نساء المسلمين ، من الضعفاء والمساكين في بلادكم هذه ، وهي من عواصم بلاد الاسلام ، يستخدمن عند اليهود والاجانب وانتم ساكتون ، تنظرون ولا تفكرون ، وتبصرون ولا تبتصرون . . اليست نساء اخوانكم واعراضهم اعراضكم ؟ ! أفلا تهيج غيرتكم وتثور حميتكم ؟ !

ايها الناس !

انا نذير الله اليكم ! الله الله في بلادكم ! الله الله في دينكم !.. دين الله وديعة عندكم وقد اصبح مهدداً ، فان لم تتفقوا وتتحدوا فسينزعه الله منكم فتنتزع عنكم كل خير وبركة ! واذا بقيتم على هذا الحال من الفرقة والتقاطع فستذهب ريحكم ويتمزق شملكم وتكونون اذل من قوم سبأ !

هنالك لو تدعو كليباً وجدتها اذل من القردان تحت المناسم

ايها الناس !

قلنا ولا نزال نقول : ان الاتفاق والاتحاد ليس من مقولة الاقوال ولا من عالم الوهم والخيال ، ويستحيل ان توجد حقيقة الاتفاق والوحدة في امة مالم يقع التناصف والعدل بينها باعطاء كل ذي حق حقه ، والمساواة في الاعمال والمنافع ، وعدم استئثار فريق على آخر .

ولكن اين ذلك وانى ؟

كاد ان يغلب على القنوط واليأس منكم . . . ذهبت الى ايران وكنت يائساً على حسب الشايع والمسموع . ولكنى - بحمد الله - وجدت كل مايرتاح اليه طالب الصلاح والاصلاح ، ونجحت نجاحا باهراً . . ولكن في بلادي اخفقت على رغم كل جهودي ، ويا للاسف !

الله الله في اوطانكم ! . . الصهيونية بين اضلاعكم ، وهي سوس السياسة ، والبلاء المبرم ، والداء العضال . . وانتم هامدون خامدون ، لاتحسون بهذا البلاء العظيم الذي ينذركم بالتلف .

ايها الناس !

ان البلاء لعظيم ، لايبقي منكم باقية ، ولايذر في الدار دياراً . كل عام ، بل كل شهر ، تشد قناطير الاموال من العراق وتذهب

الى جمعية صهيون ، فهل اولياء الحكم في العراق يعلمون ؟ . . نعم ا يعلمون ولكن هل يعملون لدفع هذا الخطر ؟ ام نحن ازاء اليهود صم بكم فهم لا يفقهون ؟ !

« ان اللبيب من الاشارة يفهم » .

الصهيونيون طرداء العالم ونفاة الامم . . يوماً تطردهم « المانيا » ويوماً « فرنسا » وآخر «اسبانيا» و «النمسا» . . وهكذا كل برهة وكل مملكة . لاتستطيع حكومة من حكومات اورپاذات الحول والطول ان تحملهم . دولة المانيا القهارة ذات الصناعات الباهرة وملكة الجو لم تقدر ـ يا امة الاسلام ـ على تحملهم حتى اخرجتهم من بلادها ، ولكن زجهم القضاء الاسود الى فلسطين فاوشكوا ان يبتلعوها ، ثم يسري البلاء الى سوريا ثم الى العراق.

هم لا يزالون يدأبون في السعي ، مخططين الخطط ومشكلين المناهج . . ونحن غرقى في المنام ، نتضارب في الاحلام ، ويقاتل بعضنا بعضاً على الاوهام .

اين العزائم ؟ اين الهمم ؟ اين الرجال ؟ . . .

ياايها المسلمون ! كونوا رجالا . . والله ـ وياللاسف ! ـ لسنا برجال ، بل ولا اناثى ولا مخنثين ! . . اهذا شأن الرجال ؟ . . اين اصلاحكم؟ اين جمعياتكم ؟ اين معارفكم ؟ . . القوم في جد

واجتهاد وانتم مشغولون بالزخارف والسفاسف التي لاتنفع ولا تجدي، والتي لايبلغ الانسان بها الى مجد ولارفعة . انتم مشغولون بالمقاهي والملاهى والسينمات والاشياء التوافه الساقطة .. اتقوا الله ايها الناس « ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احراراً في اوطانكم » كلمة عظيمة قالها ذلك الرجل العظيم اول الاسلام .

ايها الناس !

اول مجدد شرف في الانسان الغيرة ، ومن لاغيرة له لاحس له ومن لاحس له ليس بانسان .

ايها الناس !

اتركوا هذه الاعمال المضرة باخلاقكم ونفوسكم واموالكم. الخطر قد احاط بكم من كل جانب . اتركوا هذه السفاسف المضرة في دينكم ودنياكم .

ان هؤلاء الذين جاؤوكم بالسينما والخمر والميسر اللذين حرمهما الله في نص كتابه ، لايريدون نفعكم ، وانما جاؤوا بها ليفسدوا اخلاقكم ويستلبوا اموالكم ويوقعوا بينكم العداوة والبغضاء « انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر »،« انما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان

فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . لكن نحن قد عكسنا الآية ! الله ـ سبحانه ـ يقول « فاجتنبوه » ونحن نقول « فارتكبوه » !

ايها الناس !

اشربوا . . العبوا . . اكثروا التردد الى السينما والملاهي . . . الله اكبر! اين العقول ؟ اين الحجى؟ اين الاحلام ؟ . . ماطبكم؟ ما دواؤكم ؟ . . القوم رجال امثالكم . . انتم رجال وهم رجال ، فما بالكم تأخرتم وتقدموا ، وجهلتم وتعلموا ؟ . . . كيف تريدون الاعتزاز كالامم ؟ انظروا الى جامعتهم وعصبيتهم وتألفهم. اعتبروا باذل الامم «اليهود» .. يهودي في الصين وآخر في العراق.. الروح واحدة والقلوب متفقة والآراء سواء . اذا اصيب احدهم بمكروه في العراق تألم الآخر له في الصين ، واذا ضرب يهودي في المانيا صاح كل يهودي في العالم « آخ ! » وصرخوا صرخة واحدة، وهذه الصفة هي من اساسيات قواعد الاسلام حيث يقول: « المؤمن من المؤمن كالعضو من الجسد ، اذا تألم عضو تألم له ساير الجسد » « المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » . ولكنا ـ وياللحسرة والاسف ! ـ بناء مفكك يهدم بعضه بعضاً !

فكأن تلك الوصايا التي اوصانا بها الله ورسوله قد اوصى بها اليهود واوصانا بخلافها ! !

مغزى الوحدة

بعد تلك المقالات والخطب الرنانة التي القيتها في بغداد في «الحسينية» في احدى ليالى شهر رمضان زهاء اربع ساعات في جمع لايقل عن خمسة آلاف . . فما ذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة «كتاب الحصان» . . . فانظروا ما احسنها من نتيجة ، وانظروا كيف تؤثر الخطب والنصائح في بلادنا وامتنا ... والله يستر بلطفه من مغبة اجتماعنا هذا وامثاله . . .

أيها الاخوان !

لانجاح ولا فلاح مادامت امورنا تمشى على المجاملات دون المصارحة والحقيقة .

ايها الناس !

قد تعودنا على النفاق والمداهنة والمكر والخديعة . . يخدع بعضنا بعضاً ونسميها «مجاملة» . . كلنا كذابون ، كلنا منافقون كل امورنا مبنية على النفاق . لانصارح بالحقيقة ولا نعطى الحقيقة حقا . . . انا احدكم وعلى غراركم .

لساني يقول ولاافعل ، وقلبي يريد ولااعمل ، واعرف رشدي

ولا اهتدي ، واعلم لكني اجهل . . . نحن مملوؤن نفاقا وخداعا ، وتحت كل شعرة منا شيطان ! . . نحن جميعاً نتبع الهوى و نعبده « افرأيت من اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم » .

قال امير المؤمنين (ع) : « ايها المسلمون ! انما انتم اخوان على دين الله ، مافرق بينكم الا سوء السرائر وخبث الضمائر ، فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادون » . وكان سيد الرسل (ص) لايزال ينـــادي في اصحابه : « ايها المسلمون ! لا تباغضوا ، فانها والله الحالقة . . لا اقول حالقة الشعر ولكنها حالقة الدين والدنيا » .

ايها المسلمون !

على م هذا التضارب والتباغض ؟ . . . كل واحـد منا يقول للاخر « انا اخوك » و « نحن اخوان ومتحدان » ولكنه يريد ان يخدعه بذلك ، ولو كان اخوه حقاً لانصفه على الاقل اذا لم يواسه ويؤثره على نفسه .

ايها الناس !

لاتتقدم الامة مادام احد افرادها يسلب حق الآخر ، وانما تتقدم الامم بالعدل والتناصف واعطاء كل ذي حق حقه .

الاخوان المشتركون في دار واحدة اذا اختص احدهم بالغرف

والعلالي وترك الآخرين تحت السماء يلفحهم حر الهجير وبرد الزمهرير ، ويقول لكل منهم اصبر واحتسب فانا اخوك . . . يستحيل ان يقنع بذلك القول وان يدوم الصفاء بينهما ويتحدا حقيقة .

اعطه حقه وناصفه تكن اخاه ، والا فليس الى الراحة بينهما من سبيل ، ولسنا بالغين المرتبة التي ادبنا الله بها وحثنا عليها ، فقال ـ جل شأنه ـ « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

حارت العقول ، وضلت الالباب ، وتاهت الافكار في طب المسألة وعلاجها . . فكم من حكيم ذهبت عصارة افكاره ادراج الرياح ، وراحت نفسه عليهم حسرات .

غلب الشر منذ كان على الخلق ... وماتت بغيظه الحكماء
واذا ما العقول لم تقبل النصح ... فماذا تفيده النصحاء ؟

وجوب ترك الخمر والميسر

غاصت الامم في البحار ، وطارت في السماء ، وقبضت على مفاتيح خزائن الارض ، وبلغت اقصى مراتب الرقي والعمران ، واخذت زينة الحياة الدنيا بحذافيرها ... وبقينا مذبذبين حيارى

لادنيا ولا آخرة!..ذهب العز والمال ، وذهب الشرف والاستقلال وذهب كل شيء .

أيها المسلمون !

اعلموا ـ وانتم تعلمون ـ ان الامر اصبح محسوساً وملموساً ..

اضرب بطرفك ـ ايها المسلم ـ حيث شئت من الارض ، شرقها وغربها ، هل تجد مملكة اسلامية اوقطراً من اقطار المسلمين لايعاني بلاء الاستعمار ولا يرزح تحت نير الاستعباد ولم يعد اسيرا في بلاده او ذليلا في عقر داره وغريباً في وطنه . . . انظر في الغرب : تونس ، ومراكش ، والجزائر . . . وفي الشرق : مصر وسوريا والعراق والجزيرة ، كلها في البلاء سواء ، وان اختلفت انواع البلاء واشكال المحن .

اليس كل ذلك من تقاطعنا وتفرقنا ؟ اليس كل ذلك من تركنا لاحكام ديننا ونواميس شريعتنا ؟

ألستم تعرفون الخمر ومضارها وفظاعة تحريمها في شريعة الاسلام ، ومع ذلك تذهبون وتشربون جهاراً ومحاربةلله ورسوله؟! اليست اصبحت تباع في اسواق المسلمين جهاراً وعلانية محاربة ومخالفة للقرآن ؟

أليس الربا والقمار اصبح شايعاً عندالمسلمين بغير نكير؟ واذا

اردنا ان نتخرج نخرجه مخرج البيع ونلبس الباطل صورة الحق، «يخادعون الله والله خادعهم»، «ومكروا ومكر الله والله اشد الماكرين».

ايها المسلمون !

ان اتفقنا واصلحنا انفسنا واخذنا باحكام ديننا ، عادت السعادة الينا ، وزال كابوس الاستعباد عنا . . والا . . فاعلموا انا وانتم سنهلك ما بقينا في شقاق ، وستتدهور في هوة الدمار والبوار وخراب الديار .

تربية النشء

ايها الناس !

اولادكم ودائع الله عندكم . . . الاولاد والشبان اليوم رجال الغد ، هم للبلاد والبلاد لهم ، فهل تحفظونهم ؟ ام تفسدون اخلاقهم كما فسدتم انتم ؟ ! . . الصغير ينشأ على اخلاق الكبير فان رآه يشرب الخمر فهو لا محالة يشربها . أتريدون منه الصدق وانتم تكذبون ؟ او تلتمسون منه العفة وانتم تفسقون ؟ !

ايها الناس !

لا تستطيعون تربية اولادكم الا بتربية انفسكم، وما احسن ما قال

بعض العارفين : الوعظ الذي لا يعادله نفع ولا يمجه سمع ، مانطق به لسان الفعل وخرس عنه لسان القول .

عظوهم بافعالكم قبل اقوالكم . تأدبوا ـ ايها الناس ـ بآداب الله وكتابه وبسنة نبيه ، فوالله ماترك من خير إلا وارشدكم اليه ودلكم عليه ! ولكنكم ضيعتموه فضعتم ، وخذلتموه فخذلكم .

ايها الناس !

اتحدوا اتحاداً صحيحاً صريحاً . قتلتنا المجاملات ، واهلكنا عدم المصارحة . . كن صريحاً تكن مريحاً .

ايها الناس !

ربما اكون قد اطلت ، والاطالة توجب الملالة ، والملالة تجر الى الالم . . وبعض الذي قلناه كاف لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد . اما من لم يكن له قلب ولا حس ، فلا يجدى فيه القول والتقريع مهما طال وكثر .

وفي الختام : نسأله ـ تعالى ـ ان يصلح شأنكم . فان صلحتم صلحتم لانفسكم ، وان فسدتم فالفساد عليكم . . ولكننا نتألم لكم ، ونريد لكم كل خير وصلاح ، وتقدم ونجاح . والله ولي ذلك كله ، والسلام عليكم .

الخطبة الثانية

الخطبة التي القاها سماحته في
« جامع المنارتين » بالبصرة في ١٠ ذي
القعدة ١٣٥٢ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - سبحانه - في كتابه المجيد وفرقانه الحميد : « ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلهم فما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزى المجرمين. ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون » .

هذا نص القرآن المجيد، وآية منه، وما اعظمها . يقول - تعالى - : « لننظر كيف تعملون » .

ايها الاخوان الكرام !

تعلمون - وحقاً تعلمون - ان البلاد ، منذ بدء الخليقة، مازالت تسعد وتشقى ، وتسفل وترقى ، وتجمع باطلا وحقا . . وليست سعادة البلاد بطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبهجة خضرائها

ونضرائها ، بل سعادة البلاد الحقيقية هي كرم اخلاق ابنائها ، ومعارف سكانها ، بعوارفهم ومعارفهم ، بعلومهم وادابهم .

سعادة البلاد بابناء البلاد ، وسعادة الابناء بالعلم والسداد، وينابيـــع الثروة والاقتصاد ، وكل مايجلب العز والسعادة ، ويوجب المنعة والاستقلال . وللبلاد في ابان تأسيسها ، ومبادي وضعها وتكوينها ، مناسبات ومقتضيات ، تعين على سعادة ابنائهم وارتقائهم الى اوج المجد .

الكوفة والبصرة

لما بزغت شمس الاسلام ، وانجلى النورالمحمدي فمزق ظلمات الجاهلية ، ما انفرط العقد الثاني في التاريخ حتى تكون مصران عظيمان من امهات المدن الاسلامية ، ولم يكن لهما نظير في تلك العصور : اما الاول فهو « الكوفة » تأسست سنة ١٦ من الهجرة ، مصرها واختطها سعد بن ابي وقاص الصحابي الكبير والفاتح الشهير، والمصر الثاني « البصرة » اسسها قرب ذلك التاريخ عتبة ابن غزوان . وكلا المصرين تأسسا بامر الخليفة الثاني (رض) وما مضى عليهما خمس أوست سنوات حتى اتسعت منهما الدائرة

وازدهرتا بنوادي العلم والادب وازدحمت عليهما الوفود لارتشاف العلم والمعارف من منهلهما العذب ، وبالاخص البصرة ، فانها بعد بضع سنوات اصبحت مطمح انظار رجال العـــالم ، واليها الهجرة وشد الرحال من كل حدب وصوب . وكان يقال لها « قبة الاسلام » ، و « خزانة العرب » ، و « كنانة الادب » . وغب وقوع الحادثة التاريخية الشهيرة « وقعة الجمل » دارت ادوارها ، وطابت معايشها ، وتوفرت اسباب الراحـة والعمران فيها ، واصبحت معهداً علمياً اسلامياً . وفيها نشأ « المربد » ، وهو اول معهد اسلامي ومدرسة كبرى ، وقد تخرج منه فطاحل علماء العربية ومؤسسو العلوم الاسلامية .

هذه هي البصرة ـ ايها الاخوان ـ وهذا مربدها المشهور .

من تحت هذه السماء ، ومن جذور هذه التربة ، ومن سائل هذا الاثير الجوي نشأ ابو الأسود الدؤلي مؤسس « علم النحو » ، والخليل بن احمد مؤسس « علم العروض » وصاحب « كتاب العين » ، ومسلم بن معاذ مؤسس « علم الصرف » و « البيان » و « المنطق » ـ اعني المنطق العربي لا اليوناني ـ . . . هؤلاء الفطاحل الثلاثة هم مؤسسو علوم الاسلام ـ العلوم التي يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة ، ويستقى من ينابيعها نطف الادب ـ

واليهم كانت تشد الرحال ، ومن حوزة دروسهم تتخرج الرجال.

من هذه التربة والماء ، وتحت قبة هذه السماء ، نبعت تلك العلوم ،وتبرزت اولئك الاساطين ،وتخرج عليهم الأعلام المشاهير، كسيبويه ، والكسائي ، والاصمعي ، والفراء ، وخلف الاحمر ، وكثير من امثالهم . .كما ان منها نشأت طرائق الزهد والتصوف والسلوك ، وكان اول من اظهرها او تظاهر فيها في القرن الاول من قرون الاسلام « الحسن البصري » و « فرقد السنجي » واضرابهم ، بل ومن ههنا نبغت اول طائفة بحثت في العقائد ، وخاضت في المادة ، ونظرت في الطبيعة وما بعد الطبيعة وخواص الواجب والممكن ، وهي طائفة المعتزلة ، وفي طليعتهم « واصل بن عطاء » و « ابو هاشم الجبائي » واخوانهم ، وهم من اهل هذه البقعة ايضاً .

فانت ترى ان من هذه الاجواء والارجاء قد انبعثت اشعة جل العلوم الاسلامية الى سائر الآفاق .

ثم تعاقبت عليها الخطوب ، وتداولتها المحن كسائر بلاد الله ، ولكنها ـ بحمد الله ـ ما خلت في وقت من الاوقات من العلماء والصالحين ، الذين يرشدون الى سواء السبيل ، ويكونون للحق خير دليل . ولا غرو ان تمتاز هذه البلاد بتلك المزايا والمآثر ،

لما خصها الله به من المزايا الطبيعية والموقع الجغرافي الذى لم يتسن لغيرها من البلاد .

وصايا وعظات

يا اهل البصرة !

هذان الرافدان ياتيان اليكم من اقاصي جبال ارمينيا . . يحييانكم ويعطيانكم درساً يرمزان فيه الى أمر مهم تعود فائدته اليكم . . فهل علمتموه ، أم هل اطلعتم على كنهه وسره ؟

يشيران اليكم بفائدة الاجتماع ، وضرورة الاتفاق ، وبركة الانضمام والوحدة . . يقولان لكم : ماأتيناكم الا بعد ان امتزجنا واتحدنا بحيث لا يمتاز كل واحد منا عن اخيه !

خرجنا من منابعنا مختلفين متباعدين ، وقبل ان نتصل ببلادكم ونأتي اليكم اتحدنا واقترنا . . . الا هكذا فاتفقوا واتحدوا .

وهذه احدى الميزات التي خص الله بها بلادكم دون سائر البلاد . . . هذا البحر الى جنبكم ، وهذا البر الفسيح مفتوح امامكم .. البحر يعلمكم اللين والمرونة ، يعطيكم الصفاء والملاحة ،

والبر يحملكم على الرزانة والقوة، وسعة الصدر والثبات .

يقول « الخليل » من ابيات في وصف البصرة :

بر وبحر احاطا من جوانبها   فالضب والنون والملاح والحادي

« الحادي » لسفن الصحراء ، و « الملاح » لسفن المـــاء .

تسورت بلدتكم هذه باسوار طبيعية ـ النهر العظيم وشط العرب والبحر الزاخر والنخيل المشتبك ـ فهل تجدون بلداً في العراق او غيره تفوقها او تساويها ؟ افلا يحق ويجب عليكم ان تصونوها وتحصنوها بالاخلاق الفاضلة والعلوم العالية ، والاتفاق الصحيح والوحدة الحقة ، لاوحدة الخداع والمكر ؟

اتعرفون ماهي الوحدة الحقة ؟ . . . يقول العباس بن الاحنف او غيره :

اقول لورقاوين في فرع نخلة   وقد طفل الامساء او جنح العصر

وقد بسطت هاتي لتلك جناحها   ومد الى هاتيك من هذه النحر

ليهنكما ان لم تراعا بفرقة   ولم يسع في تشتيت شملكما الدهر

أتعلمون ايها الكرام مايقول هذا الشاعر وماالذي يوعز اليه؟

اتعرفون ما المراد بالحمامتين والورقاوين التي تبسط احداهما جناحها للاخرى رحمة ورأفة ، ووئاماً واتحاداً على فرع نخلة ؟

هما طائفتان من المسلمين، تجمعهم لغة واحدة، وكتاب واحد ،

وقبلة واحدة ، واهل وطن واحد ، وهم في الحسب والنسب والآباء سواء . . . افلا يجب ان يكونوا كذينك الحمامتين المتآخيتين ؟ !

منح الله البصرة مزايا جليلة وخواص كريمة ، امتازت بها على ساير المدن . . فهل تحفظون هذه الكرامة وتشكرون هـذه النعمة وتتحدون وتتفقون حقاً كما اوصى الله في كتابه الكريم ؟ ؟

نحن قلنا حتى مللنا ، واسمعنا حتى سأمنا . . . أسمعنا الدعوة الى الوحدة والاتفاق ، وقلنا للمسلمين : ان الذي يقتلكم ، ويفرق جمعكم ، ويخمد جذوة عزائكم ، ويجعلكم ـ بل جعلكم ـ اذلاء صاغرين للاجانب ، هو هذا الخلاف والشقاق الذي تغلغل وتوغل فيكم ... أهبنا بالمسلمين،ودعوناهم الى مادعاهم اليه الله ورسوله .. ولكن هل وجدنا اثراً ، اواصبنا للامة نفعاً اودفعنا ضرراً ؟.. كلا!

« ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ؟ اذ هم الا كالانعام » ، « لقـد اسمعت لو ناديت . . . » ، « لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو اسمعهم لتولوا . . . » .

منح الله ـ سبحانه ـ البشر عقولا بها امتازت عن البهائم ليميزوا بها الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، والنافع من الضار . . فيا ترى هل بقى شك او شبهة لاحد في ضرورة الاتحاد والاتفاق ؟ . .وان العدو ما كادهم في بلادهم إلا بما يدسه فيما

بينهم من سموم النفاق ، حتى استفحلت بليته ، وامكنت فريسته ، على اوهام فارغة ، وامور فاشلة ، لا حقيقة لها ولا وجود ولا اثر ولا عين .

خلق الله ـ سبحانه ـ الكائنات من عناصر واوليات ، ولكن كل عنصر من عناصر تلك الاوليات لاتترتب عليه بانفراده فائدة ولا تظهر له في نفسه منفعة . . حتى ينظم الى امثاله ، ويتحد مع احزابه ، ويكون ـ بعد الانضمام والتركيب ـ شيئاً واحداً له آثاره الخاصة وفوائده المعينة . اما مع الانحلال والتفكيك ، فلا فائدة فيها ولا كيان لها .

هذه الكائنات باجمعها ، من ارض وسماء ، وانسان وحيوان ، ونبات وجماد . . كانت اجزاء متفرقة وعناصر متباينة ، ثم جمع الله جزءاً الى جزء ، وضم بعضها الى بعض ، على نسب مخصوص ومقادير معينة ، حتى حصلت لكل كائن وحدة بها ظهرت فوائده وبرزت في الوجود آثاره ، وحال الكل حال الابعاض ، وحال الامم حال الافراد ، فكما ان الفرد عدة اجزاء متباينة ، من دم ولحم وعظم واعصاب ، قد انضم بعضها الى بعض حتى حصلت لها وحدة تجمعها من الروح الانساني او الحيواني ، فصار شخصاً ماثلا ، وكائناً كاملا ، يضر وينفع ، ويعطي ويمنع ، وله اثاره وخواصه . .

فكذلك الامة اذا انضم بعض افرادها الى بعض ، وحصلت فيها روح واحدة تجمعها ، وتجعلها تحس بحس واحد ، وتتحرك وتسكن بشعور واحد . . . هناك تكون امة حية تحفظ كيانها ، وتشيد بين الامم اركانها ، وتصون عزها من الذل والاستعباد ، وتصلح ما يطرأ عليها من الخلل والفساد .

واعلموا ـ ايها المسلمون ـ اننا لو ملأنا آفاق السماء وفجاج الارض عجيجاً وضجيجاً ودعوة الى الوحدة ، باقامة البراهين الدامغة والحجج البالغة . . لم يجد ذلك شيئاً مالم تتحقق فيكم تلك الروح الواحدة ، وذلك الحس والشعور الذي يدفعكم الى تناصف بعضكم لبعض ، وعدم استئثار بعض على بعض . وتلك الوحدة المنشودة التي تتكون بها الامم وتستدر بهاالسعادة والنعم ليست هي لفظا وقولا وخداعاً ومكراً ، ولا تثمر تلك الثمرات ولا تترتب تلك الغايات الا على الاعمال الجدية ، وخلوص النية ، والولاء الصريح ، والاخاء الصحيح ،و « ان يحب الانسان لاخيه ما يحب لنفسه » . وقـــد كانت هذه الكلمة البارعة والوصية الجامعة ، من اهم وصايا رسول الله لامته التي لا يزال يقرع بها اسماعهم ويكررها عليهم ، ولكننا قد اضعناها وحفظها الاجانب . اخذوها منا وتغلبوا بها علينا ، ونحن احق بها واولى . . .

فرض لازم وحتم واجب على كل مسلم ان لا يسأل انساناً إلا عن الشهادتين وجامعة « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، فان وجدها لا يسأل عن شيء بعدها .

وكان المسلمون ، ايام الفتوح والتوغل في البحار والامصار ، اذا سئل احدهم عن نسبه وقبيلته ، وقيل له : من ابوك ؟ يقول :

ابي الاسلام لا اب لي سواه اذا افتخروا بقيس او تميم

اعوزنا واضربنا عدم الثقة بالله، وانا لا نعتقد اعتقاد اليقين بجزاء ولا حساب ولا كتاب ، وان مصيرنا الى الله ، وان الامور كلها بيده وفي مشيئته ، وقد جعلها منوطة باسبابها .

امم الغرب ـ على الغالب ايضاً ـ ليس لها ذلك الاعتقاد الراسخ ، ولكن كبرت نفوسهم ، وتعاظمت همتهم ، فانبعثوا الى الاعمال الجدية لنيل العز والشرف . . وبذلك تغلبوا علينا . ونحن ـ مضافا الى لزوم طلب تلك المعالي والعز الذي كان لآبائنا ـ نعتقد بالجزاء وديونة الحق في دار القرار . . وكلها دواع وبواعث يجب ان تدفعنا الى لم شعثنا ، وتهذيب اخلاقنا ، واسترداد تراث سلفنا .

امر هائل ، وخطب فظيع ، تحار منه العقول ، وتطيش له الالباب . . الحال الذي صرنا اليها لو حللناها تحليلا كيمياوياً ، ونظرنا كيف كنا وكيف اصبحنا ، والى اي حد من الشقاء بلغنا

وكيف اتفقنا على ان نعين عدونا ، ونخرب بيوتنا بايدينا .. اذاً لانشقت المرائر ، وتفطرت القلوب . والخطب الافظع : ان الخطب والمقالات ، والنوادي والاجتماعات ، تذهب هواء في شبك ، ولا تؤثر شيئاً من الأثر المطلوب .

يا اهل البصرة !

كنت اخبرتكم : ان العلوم الاسلامية انبثقت من بصرتكم هذه ، وفيها تشكل « المربد » الذي كان كاول معهد علمي اسلامي ، ومنها تخرج الاعلام ، وعظماء الاسلام ... افلا تنهض بكم الغيرة والحمية ثانياً فتستعيدوا ذلك المجد الباذخ ؟! افلا تثور فيكم النخوة فتتقدموا امام المسلمين بنهضة شريفة ، فتجمعوا كلمتكم ، ولا تدعوا مجالا لتأثير الفوارق المذهبية في صدع وحدتكم ؟!

افلا تنهضوا نهضة آبائكم الكرام ، وتنبذوا الحرص على حطام هذه الدنيا الدنية ، ولا تحتذوا ماتخيله لكم الاوهام الشيطانية ؟!

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » .

العلم والعمل

لا تنهض الامة وتطير في اجواء المعالي الا بجناحي العلم والعمل ، والعمل موكول الى العلماء ، وهم القادة والسادة ، والتعليم فرض محتم عليهم ، وما اخذ الله على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا .

دعائم السعادة في الامم ثلاث : تعليم العلماء ، وعمل الامة ، وعدل الحكومة . . . فاذا قام كل واحد من هؤلاء بواجبه عمرت البلاد وسعدت العباد .

العلماء اذا قاموا بوظائفهم ، وعلموا غيرهم ، ورشدوا ونصحوا واخلصوا لله في اعمالهم «فطوبى لهم وحسن مآب» ، فقد كتبوا في ديوان الله من الامناء والسعداء الآمنين . وان لم يعملوا او لم يعلموا فتعساً لهم ! وقد كتبوا في ديوان الله من الاشقياء الخائنين ، فان العلم وديعة الله عند العلماء للتعليم والعمل ، لا للاستطالة والكبرياء ، والجدل والمراء ، والعجب والرياء .

والامة اذا تعلمت وعملت وقبلت نصائح العلماء وارشادهم ، فقد احرزت حظها من السعادة ، وانقادت لها ازمة الخير .

والحكومة اذا قامت بواجبها نحو الامة ، واخلصت للمصلحة ونصحت للرعية ، وعلمت حق العلم ان الحكومة اجراء للشعب ، تأكل من كديمينه وعرق جبينه ، فالواجب عليها ان تخدم الشعب باخلاص ، ولا تتطاول عليه ولا تجحف به ، ولا تزاحمه حتى في بلغة معاشه ولقمة قوته ، وان تقيم فيه موازين العدل والقسط ، والواجب ان تخلص الدولة في خدمة الرعية ، وتنقاد الرعية للدولة ، وتخضع لقوانينها العادلة ، وتنعقد مابينهم عرى الصفاء والمجد ، حتى يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً . . . هنالك ترقى البلاد ، وتسعد العباد ، ويعيش كل فرد من المجتمع عيشاً اجتماعياً هنياً . . لا كالحال الذي نحن فيه منذ اليوم، حيث اصبح كل فرد منا يعيش عيشاً فردياً. والانسان مدني بالطبع، ويستحيل ان يعيش انسان بانفراده ، فاذا انفرد عن المجتمع وانقطع ، فليس هو بانسان ، بل وحش من الوحوش !

نعم ! نحن في صورة الظاهر مجتمعون ، ولكن ما اشد التباين مابين الانسان واخيه ، وبين المرء وقريبه ، وبين الشخص وجاره.. وهكذا لاتجد شخصين متفقين على جامعة صحيحة ورأى واحد . فنحن حقيقة كما قال ـ جل شأنه ـ : « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » . ولا تسعد امة مادامت بهذا الحال ابدا .

التشتت ، واختلاف الآراء والاهواء، وفقدان الزعيم والقائد المخلص الذي يجمع الامة وتجتمع اليه . . هو السبب الوحيد في هلاك الامة .

اذا ما اراد الله اهلاك امـة   رماها بتشتيت الهوى والتخاذل

ما وجدنا امة صعدت الى اوج المجد فسعدت وهي متفرقة متخاذلة . ما كان ذلك ابداً ولا يكون. كما انه لايستقيم امر امة بغير زعيم قائد يقودها الى مناهج الهدى وسبل الخير . والامم إما ان يكونها الزعيم ، او تكون الزعيم لها . والضرورة لها على كل حال . ومن حكم العرب ومحاسنها القديمة العالية قول الافوه :

لاتصلح الناس فوضى لاسراة لهم   ولاسراة اذا جهالهم سادوا

عليكم ايها الناس بالركون الى العلماء العاملين والاخذ منهم، فانهم بمعونة الحق لايقودونكم الا الى الهدى ، ولا يحملونكم الا على جناح النجاح . ولعل ما حل بكم من النكبات والرزايا من بعض اسباب التجافي عنهم والتباعد منهم ، والا لعرفوكم ان هذا التخاذل يؤدي الى سوء العواقب ، وان لاثمرة بهذه الخطة ولا سلامة في هذا الطريق . . .

ان كنتم تريدون سعادة وتاريخاً مجيداً كما كان لاسلافكم فلا سبيل الى ذلك الا بالاقتداء بهم ، والسعي وراء العمل الجدي

والتخلق بالاخلاق الكريمة .

ايها الناس !

لا ينال الشرف والمجد وعز الاستقلال الصحيح بالاماني والاباطيل . اتحسبون ان الاجانب بلغوا ما بلغوا بمثل هذه الاحوال التي نحن عليها ؟ قد ابى الله - سبحانه - ان يجري الامور الا باسبابها ، وان تؤتى البيوت الا من ابوابها . وجعل الجد والعمل هو ملاك الفوز والنجاح « وان ليس للانسان الا ماسعى » .

عودوا - ايها المسلمون - الى ما كانت عليه اسلافكم . . من الاخلاق الكريمة ، والعفة والنزاهة ، والصدق في القول والفعل، والسعي وراء العمل النافع ، ومعرفة الوقت الثمين .

نحن نقتل الوقت الذي هو عبارة عن عمرنا العزيز ضياعاً في الاباطيل ، نصرفه في كل رذيلة ويمكننا ان نكسب به كل شرف وفضيلة .

سوادنا الاعظم يصرف عامة وقته في المقاهي والملاهي والسينمات والمواخير .

مسارح اللهو بالناس معمورة مغمورة والمساجد ونوادي العلم مهجورة . . تجد تلك مكتظة بالخلايق والمساجد في مواقيت

الصلاة خالية خاوية . أليس هذا مما يقرح قلب المؤمن الغيور ؟ او يوقد في فؤاد المسلم شعلة الاسى والاسف ؟

العلم العلم ايها الناس ! فان العلم اول مبادىء السعادة . ففي الحديث : « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم ، ومن اراد الدنيا والاخرة فعليه بالعلم » .

ثم العمل العمل ! فان العلم بلاعمل كالسراج في يد الاعمى ، والعالم بغير عمل كالجاهل الحائر ، بل في الحديث :« ان الحجة عليه اعظم ، والحسرة له الزم ، وهو عند الله الوم » .

ثم الاخلاص الاخلاص ! فان الاعمال كلها بغير اخلاص هباء بل حسرة وندامة . اخلصوا لله - ايها الناس - في اعمالكم تنالوا سعادة الدنيا والآخرة . صبروا انفسكم عن هذه الشهوات الفانية من غير طرقها المشروعة ، فانما هي ايام قلائل وظل زائل « ألا كل شيء ماخلا الله باطل » .

اين الذين طالت اعمارهم فعاشوا الآلاف من السنين ، عمروا بها الدور ، وشيدوا القصور ، وسخروا العباد ، وفتحوا الامصار ، واحتلبوا درة افاويق الدنيا واخلاف نعيمها ، ثم اصبحوا هباء منثوراً كان لم يكونوا شيئاً مذكوراً .

ثم اضحوا كانهم ورق جف   فألوت به الصبا والدبور

فما لنا نحرص على الدنيا هذا الحرص المجهد ولا نحرص على هذا العمر القصير فلا نصرفه بالاباطيل والاعمال التافهة ؟

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ رأفة بعبادة واتماماً للحجة عليهم يبتعث في البرهة بعد البرهة رجالا مخلصين ،واطباء ماهرين عارفين بامراض المجتمع وعلله وادوائه ، ينبهون ويرشدون ، ويبثون الحكم والنصائح التي فيها شفاء للناس ، فان أخذوا بها فازوا ، وان تركوها هلكوا . ولعل الله ـ جل شأنه ـ دفعني في مواقفي المشهودة الى القاء هذه الكلمات وامثالها لاتمام الحجة ، وارجو ان تسعدوا بها ، وان تكون نعمة لا نقمة عليكم .

الله الله في بلادكم ! الله الله في اعراضكم ! الله الله في اولادكم !.. لا تنهمكوا بهذه المدنية الزائفة ، ولا تنغمروا بهذا التيار الجارف من هذه السفاسف والزخارف التي ماجاؤوا بها اليكم الا ليهلكوكم ويفسدوا اخلاقكم ويمتصوا دم حياتكم .

الشباب

ايها الشباب الانجاب . . ! ايها الاولاد الامجاد !

انتم رجال الغد وان كنتم ابناء اليوم ..عليكم اليوم العمل ،

وغداً لكم المستقبل .

ايها الشبيبة والاولاد ! . . بل ايها العيون والاكباد ! . .

انتم للبلاد وهي لكم . . انهضوا نهضة شريفة تعيدون بها مجد اسلافكم. تعاشروا بعضكم مع بعض بروح الحنان والرحمة والاخاء والمودة ، وصكوا جباه المستعمرين الذين يريدون استعبادكم بصخرة الانكار والشدة والقوة . كونوا كاوائلكم « اشداء على الكفار ، رحماء بينهم » .

الشباب المثقف هو السلاح الجاهز للامة وقوتها النارية وعدتها في الشدائد ، ولكن يجب ان تسيرها حنكة الشيوخ في تجاربهم، وتنتظم في عقول الكهول واحلامهم ، كي ترتسم فيها فضيلة الشجاعة والاعتدال ، وتصونها عن الوقوع في طرفي الافراط والتفريط من رذيلتي الجبن والتهور .

اهم مايجب ويلزم على الشباب ان يعتصم بالعروة الوثقى من النزاهة والعفة ، ولايفسح لنفسه مجالا للركض وراء الشهوات فتستدرجه الى مداحض الفسوق وبؤرة المفاسد ، فيخسر شرفه وعزه ، بل يخسر نفسه وتخسره الامة .

مكائد المستعمرين

وكان من احـــد مكايد المستعمرين اذاعة الملاهي واباحة الخمور ومعدات الفسق والفجور في بلادنا لتلك الغـــاية ، وقد ظفروا بما دبروا ،وبلغوا ما ارادوا من استعباد المسلمين .

اطمح بطرفك ـ ايها المسلم ـ حيث شئت ، من شرق الارض وغربها ، فهل تجد مملكة اسلامية أو امة من المسلمين لم تقبض على نياط احشائها براثن الاستعمار ، ولم تنشب في اعماق فؤادها مخالب الاستعباد ، ولم يستول على كل مقدراتها الاجانب ؟ . . فيكونون هم الآمرون والحاكمون ، بل الملوك والمالكون . . والمسلمون لهم خولا وعبيداً . افلا يحق لنا البكاء على هذه الحال، لولا ان البكاء « تكرم عنه عيون الرجال » ؟ ! . . . ولكن اين الرجال ؟ واين الابطال ؟ واين الشمم والشرف ؟ . . ذهب كل ذلك من المسلمين « ذهاب امس الدابر » . فعلى الاسلام والمسلمين السلام !

نحن الذين كنا نملك الدنيا اصبحنا مملوكين ولا نملك شيئاً

من الدنيا . أفليس هذا من اسوأ العار ؟

هل تجدون امــــة عربية في اقطار الارض مستقلة بحقيقة الاستقلال وليس للاجانب عليها سلطان ، حتى البدو والقبائل الرحالة في البوادي واعراب القفار والصحاري . . . لماذا كل هذا ؟ أتحسبون ان ذلك لقصور في عقولنا ، او نقص في جوارحنا ، أو خلل في شيء من حواسنا ؟ . . كلا وعزة الله ! لا نقص فينا حسب المواهب الفطرية ، ولا زيادة لهم علينا ، ولكنهم زادوا علينا في الجد والنشاط ، والاستهانة بهذه الحياة في سبيل الشرف ، وطرح الفوارق الشخصية .. فاصبحت كل امة منهم كشخص واحد. بهذا تفوقوا علينا ، وإلا فنحن ادق فهماً وارق طبعاً ، واسمى خلقاً وخلقاً ، ومنا اخذوا ، وعلينا تظاهروا واستظهروا .

أفليس بعد هذا حرام عليكم ان يتعادى او يعتدي مسلم على مسلم ، او يتنابذ أخ مع اخيه ؟ ! أو ليس من الحتم علينا ان ننتظم تحت راية واحدة ، لافرق بين عربي ولا عجمي ولا هندي ولا تركي ، ونكون اخواناً كما اراد الله منا ان نكون ؟

واجبنا

ان هذه صدفة من الصدف ، ونادرة من نوادر الدهر ، ان رمت بي الاقدار والاسفار الى بلادكم، وتبوأت مقامي هذا منكم، ارشدكم الى المناهج السوية ، والقي عليكم هذه النصائح بلهجة قوية ، واسلوب بسيط ، خال من التكلف والصناعة . . حقاً انها لفرصة ثمينة ، عسى ان تغتنموها ولا تضيعوها ، ولعل لها الاثر النافع ،والثمر اليانع . فكم خطب الخطباء ، وكم كتب الكتاب ، اجتهد المصلحون ، نعم المعري يقول :

كم وعظ الواعظون منا وقام في النـــاس انبياء

فانصرفوا والعنــاء باق ولم يزل داؤك العيـــاء

ولكن الله ـ سبحانه ـ يقول : « وذكر ان الذكرى تنفع المؤمنين » . ونأمل من لطفه ـ تعالى ـ ان لايضيع مساعينا فيكم ، فانا لانتكلم إلا عن شفقة واخلاص ، وليس لنا ادنى منفعة تعود الى شخصنا . نعم ! فائدتنا العظمى ، واقصى امانينا ، ومنتهى رغباتنا : أن نراكم امـــة حية ، متحدين جميعاً ، وعاملين على اعادة مجدكم السابق . فان اتفقتم وفقتم ، وان اتحدتم سعدتم .

والا فعسى الله ان يلطف بكم ويأخذ بأيديكم الى مهابط الرحمة ومساقط العناية . . وان كنا على رصين علم من انه ـ تعالى ـ لا يلطف بعبده حتى يجد من العبد توجها واقداماً ، وعزماً وهمة . لا يعطف الرب على عباده حتى يتعاطف بعضهم على بعض ويرحم بعضهم بعضا .

كان رسول الله (ص) يقول : « والذي نفس محمد بيده ! انكم لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تتحابوا ، ولن تتحابوا حتى تجتمعوا ويعطف بعضكم على بعض » .

وبمثل هذه التعـــاليم ، وبمثل هذه الفضائل ، بلغ اصحابه ما بلغوا ، وتغلبوا على اقوى مملكتين في ذلك العصر ـ مملكة الفرس والروم ـ في اقل من عقدين ، مع قلة العـدة والعدد ، واكثرهم اعراب اميون ، لاحضارة عندهم ولا صناعة ، ولا علوم ولا فنون ، ولا اسلحة منظمة ولا قوة . . ولكن كانت قوة الايمان واليقين بالله والثقة به اعظم سلاح واكرم جناح يتسابقون الى رضوان الله في الاخرة وشرف العز والكرامة في الدنيا .

فمن تدبر في احوال تلك الفئة ، وكيف كانوا وكيف تقدموا ، عرف جلياً ما للاخلاص والصدق ، وما للجد واحتقار هـــذه الحياة الدنيا ، من عظيم التأثير والنجاح الخطير ، وان المدار في

الغلبة ليس على كثرة العدد وتوفير العدة وقوة السلاح ، وانما المدار على صحة الايمان وقوة العزائم وصدق النية « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فبلغهم الله ما تسامت نفوسهم اليه .

هذه عبر باهرة . . ولكن اين المعتبرون ؟

نقرأ الكتب ، وتمر بنا الحوادث ، ونحن في غمرة ساهون . . « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ». تمر بنا الحوادث ، وتسنح الفرص ، ولا نأخذ الفائدة منها . وتضييع الفرصة غصة . يمر الكلام على آذاننا ولا يمس ولا طرفاً من قلوبنا ، يمر علينا وهو منطلق كالهواء ، لا يؤثر في احوالنا واعمالنا شيئاً . استولى الخور والفشل واستهدف على كل مشاعرنا وجوارحنا ، فجفت العزائم وماتت الهمم .

الغيرة والهمة العالية اساس كل خير ومفتاح كل نجاح ، فاذا استنهضتم همتكم وحفزتم غيرتكم بلغتم ما تريدون ، ولكن لاتجتمع الغيرة والانهماك في الشهوة ابداً . احذروا هذه المدنية اللماعة الخداعة الزائفة الجائفة ، التي ماجاؤوا بها اليكم إلا لسلب شرفكم وغيرتكم فضلا عن سلب اموالكم . اتحسبون ان السينمات في بلادهم هي على هذا النحو الذي في بلادكم ؟ . . كلا ! فانها في بلادهم منظمة على اصول علمية وغايات اخلاقية ومشاهدات

فنية . . . على العكس من التي عندكم المفسدة لاخلاق فتيانكم وفتياتكم . أين العقول الصافية والقرائح الوقادة التي تدرك من كل شيء مغزاه ولا ينخدع بالظواهر والمظاهر ؟

ايها الناس !

انصروا الله ينصركم ، واحفظوه يحفظكم . اغضبوا لحرمات الله ، وغاروا لشرايع الله .

الله انزل هذه الشرايع والاحكام وشرع الحلال والحرام ، لا ليتعاظم في ملكه ويتوقر في سلطانه ، ولا ليجلب اليه نفعاً او يدفع عنه ضراء ، وانما الغرض من تلك الاحكام والنواميس صلاح ابدانكم وتربية اجسادكم وتثقيف ارواحكم وحفظ جامعتكم وتنظيم امور معاشكم ومعادكم ، كي تكونوا امة قوية حية ، تستحق البقاء والبركة والنعماء ، وتسلكوا سبيل الامم الراقية التي كانت قبلكم . . « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم » .

شرع الله الشرايع ، وانزل الكتب ، وبعث الانبياء . . كل ذلك رحمة وعناية بالخليقة ، ولانقاذهم من الظلمات الى النور وسوقهم الى السعادة الابدية . وهو ـ جل شأنه ـ لاتنفعه طاعة من اطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه . . ولكن ـ مع ذلك ـ

فان تلك الاحكام والحـــدود والاوامر والنواهي هى محارم الله وحرماته. فمن شرب خمراً، او اكل الربا، او لعب قمـارا، فقـد هتك حرمة الله، وبارز الله بالمحاربة والمخالفة، وكان الله خصمه. اذا شتم احد الناس اباك وعشيرتك تغضب وتغـــار لانه هتك حرمتك ومس شرفك، ولكن اذا هتكت حرمات الله بشرب الخمور وارتكاب الفجور لا تغضب ولا تتأثر. وما ذاك إلا من اجل انه لا علاقة لك مع الله - جل شأنه - فلا تغضب لغضبه ولا تغار على حرماته ونواميسه.

ما انزل الله كتابا اكرم واعظم من القرآن، ولا شرع شريعة اجمع وانفع من شريعة الاسلام، ولا بعث نبياً افضل واكمل من محمد (ص)... محمد سيد الانبيـاء، وقرآنه سيد الكتب، وشريعته افضل الشرايع.. ومع ذلك فقد خصكم الله بها دون سائر الامم. أفليس من الأسف المحض ان تضيعوهـا وتهملوها؟

كان رسول الله (ص) يقول: «انا حظكم من الانبياء وانتم حظى من الامم». اما حظنا من الانبياء فنعم الحـظ ونعم النصيب، ولكن انظر كيف حظه منا؟ أنبعث له الخجل يـــوم القيامة ونطأطيء رأسه بين الانبياء أم نرفع رأسه؟

فاي حظ له نحن!.. لو كنا نترسم سيرة نبينا وصحابته ونأخذ من الالف واحداً لسعدنا. ولكنا عكسنا الحقيقة ولبسنا الاسلام

لبس الفرو مقلوباً. ولو نظرنا في احوال العالم نجد عندنا من حقيقة الاسلام اثرا . نعم! عندنا من الاسلام قشور خالية من اللب لا تصلح إلا لاحراقها في النار . ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى اسراركم . ولو عاد الينا اباؤنا المسلمون الاولون وعاشرونا لا نكرونا وما عرفوا من اسلامنا شيئاً .

هذا آخر كلامي فيكم وخطابي لكم، واستودعكم الله السميع العليم ، وأسأله ان يأخذ بايديكم الى حيث المجد والرفعة وسعادة الدنيا والاخرة، وارجو ان لا تكون نصائحي هذه كصرخة في واد ونفخة في رماد، لأنها ـ كما يشهد الله ـ خرجت من قلب فلا تذهب هباء ، والله يتولاكم بعنايته والسلام عليكم ورحمة الله .

الخطبة الثالثة

من خطاب سماحته يوم ١٦ ذي القعدة الحرام ١٣٥٢ هـ في « جامع الحلة الكبير » وكانت احتشدت فيه سيول الجماهير حتى غص الجامع بالمستمعين، وتسوروا على السطوح وتعلقوا بشرفات الجامع، وكان يوماً مشهوداً . ارتجل سماحته، كعادته - رحمه الله - في جميع خطبه، مستهلا الكلام :



قال الله تعالى: « لقد ارسلنا رسلنا بالبينات، وانزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط . وانزلنا الحديد فيه بأس شديد، ومنافع للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله

قوي عزيز » .

اشتملت هذه الآية الكريمة على اسرار عظيمة ، ومقاصد جليلة ، ونكات دقيقة ، وحكمة عالية..فاشارت الى كيفية سعادة الانسان ورقي المجموعة البشرية ، وترتيب الاحوال والمدارج لتنظيم امور سعادتهم ونظم معاشهم ، وتعديل سلوكهم والمحافظة على كيانهم ، ودرء الشر عنهم وصيانتهم من الوقوع في المفاسد والمهالك ، فقال ـ عز من قائل ـ :«لقد ارسلنا رسلنا بالبينات...» .

نعم ! ارسلهم بالمعجزات الباهرة والدلائل النيرة والبراهين الساطعة على ثبوت رسالتهم ، مؤيدين بالبينات الشاهدة على نبوتهم الناطقة بحجتهم . . هذا كله حتى يتم دور النبوة ، ويبلغ الامر الى بليغ الحجة . فاذا قامت على ذلك المعجزة وتمت الحجة ، واعتقدت الناس بصحة رسالة الرسول ونبوة النبي ، جاء حينئذ الدور الثاني ، وهو وقت اداء النبي وظيفته وقيامه بواجبه ، وتنفيذه لمهمته ، المهمة المبعوث لها والناهض بثقل ابلاغها وتنفيذها ، الا وهي علاج البشر ، وانقاذه من مخالب المعاطب ، واصلاح فاسده ، وتقويم معوجه ، وبيان انه بماذا يكون ، وبأي شيء تتحقق تلك التأدية ويتنفذ ذلك الغرض .

نعم ! لا يتنفذ ذلك الغرض ، ولا تحصل الغاية المتوخاة ،

إلا بوضع قوانين آلهية ، ونواميس ربوبية ، يضمها كتاب جامع يتكفل بالنور الساطع والدواء الناجع.. وذلك الكتـــاب هو « القرآن » المبين ، والحبل المتين، والماء المعين ، فقال ـعزمن قائلـ « وانزلنا معهم الكتاب » .

الكتاب هو ذلك القانون المشتمل على الداء والدواء ، والمرض والشفاء ، وعلى الوسائل والغايات ، والاسبـاب والنتايج . . . الكتاب هـو القانون الالهى المتكفل لسعادة البشر ، المشتمل على التعاليم الموجبة لصلاحهم ، ونظم معاشهم ، وحفظ حـدودهم ، وتوازن حقوقهم . . . الكتاب هـو القانون الباقي للانسان مابقى الانسان .

طيب!..انزلنا معهم الكتـاب ؛ اي القانون المتضمن للميزان الذي توزن به الحقوق والمعاملات بين الناس بعضهم مع بعض ، بل المعاملات بين الخالق والمخلوق وبين الخـــلائق انفسهم ، وبه تتشخص وتتمين الحقوق الشخصية ، كحق الوالد على ولده وحق الولد على ابيه، والزوج على زوجته والزوجة عليه، والاخ على اخيه... وهكذا مما يستلزمه نظام البشر وحفظ هيئتهم الاجتماعية، وتختلف تلك الحقوق باختلاف الصفات والعلاقات ،فوضع ذلك القانون الالهى ميزانا يعين حقوق هذا على هذا وحقوق الكل على الكل .هذاهو

عين الميزان الذي توزن به الحقائق ،وتقاس به الطرائق ، وتعرف به الحدود والفوارق ، ويقـوم به القسط والعـــدل بين المخلوق والخالق وبين الخلايق .

وبعد ان تم وضع هـذا القانون وانتهى دور التشريع جـاء « الدور الثالث » وهو دورالتعلم والتعليم،دور العمل والتطبيق، فقال-عز شأنه-« ليقوم الناس بالقسط» يعني: ليقومـــوا بالعدل والتكافؤ ، ويحفظوا بينهم التوازن ، ولا يستأثر بعضهم على بعض فيحدث من الاستئثار العثار ، ولا يستبدوا فينجر الاستبداد الى الفساد. فاذا توازنت الحقوق، وتوزعت الفوائد،وتعممت المنافع، انتظم الامر ، وجرت مياه الصفاء ، وازهرت منابت الراحـــة والهناء ، ولم يكن ثمة شغب ولا لغب . نعم«ليقوم الناس بالقسط» والعدل بعد تعيين الحقوق وفرضها .

« وانزلنا الحديد فيه بأس شديد » . . هـــذا هو « الدور الرابع » من الادوار التي اشتملت عليهـا هذه الايـة الكريمة الربانية والجوهرة الالهية من الادوار المتدرجة والاطوار المترتب بعضها على بعض . نعم ! هذا هو الدور الرابع ، دور التنفيذ ، بعد دوري التشريع والتطبيق . العلم وحده بلا عمـــل ولا تطبيق لاينفع،التشريع بلااجراء ولا تنفيذ لغولافائدة منه . فكأنه- تعالى

شأنه ـ يقول : ايها الانبياء: ايها المرسلون: ايها المصلحون: علموا البشر ، ثقفوا المهج ، قوموا المعوج ، هذبوا النفوس ، انشروا بين سائر الطبقات القوانين والتعاليم ، عرفوهم حقوقهم ، اوقفوهم عند حدودهم ، فان نجح ونفع وسمعوا واطاعوا فيها وانعم ، وقد فازوا وسعدوا ، وان لم ينفع الوعظ والارشاد باللسان ولم يقتنعوا بالحجة والبرهان ، فلابد عند ذاك من « الچماغ » ، لابد من الحديد ذي البأس الشديد ، لابد من السيف . « الچماغ » هو القوة التنفيذية الوحيدة لعلاج البشر وتمشية العدل بينهم ، وكم في الحديد ذي البأس من منافع للناس كما تحسون وترون . ويزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن (حديث شريف) . القرآن لذوي الالباب والعقول ، والسيف والسلطان للعنيد الجهول .

ثم عقب ـ جل شأنه ـ تلك الفقرات النيرات بالبينات العالية ، حيث قال ـ وما اعلاها من كلمات ـ قال : « وليعلم الله من ينصره بالغيب ورسله ، ان الله لقوي عزيز » .

وبيان ذلك : انه ـ تعالى ـ يقول : ايها الناس ! انا ارسلنا اليكم الرسل بالمعجزات البينات اولا ، وشرعت لكم القوانين النافعة وانزلت بها الكتاب ثانياً ، وفرضت عليكم العمل والتطبيق ثالثاً ، وجعلت القوة التنفيذية بعد التشريع رابعاً . . . والغرض من

كل ذلك صلاحكم ، ولكي انظر من ينصر الله حتى انصره ، ومن يعز ديني وشرايعي حتى اعزه .

ايها الناس اهذه تعاليمي وشرايعي وحكمي واحكامي ،فمن ينصرني فيها فانا له ناصر ، ومن لاينصر الله فيها فان الله قوى عزيز . . . قوي على الانتقام ، عزيز لا يضام .

هذا نظم الآية الشريفة على الاجمال ، ولكن السر في ذلك كله ـ اي سر الحاجة الى ارسال الرسل وانزال الكتب ووضع الميزان بالقسط ووضع الحديد ذو الباس الشديد ـ هو ان الله ـ جل شأنه ـ بسابق حكمته لما اوجد الانسان في بدء فطرته جاهلا لايعلم شيئاً ـ واي بلاء ابلى من الجهل ! ـ « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » . . نعم ! وكما اوجد مفطوراً على الجهل كذلك اوجده محتاجا فقيراً فاقداً لكل ما يحتاج اليه ، حتى ان البهائم والحشرات ، بل وكل مخلوق في بدء تكوينه واول ظهوره ، قد يكون خيراً من الانسان . . يولد عاريا من كل شيء ، من ساتر جسده ، وماسك رمقه . . .

ثلاث غرائز وجدت مع الانسان هي اصل كل بلاء عليه وخسران : الجهل ، والعجز ، والفقر . ولكن قد تداركته العناية وشملته

الرحمة ، فجعلت لكل واحـد من تلك المهلكات الثلاث اسبابا لزوالها . وجعل الانسان على مقربة استعداد واوفى عدة لعلاجها.

جعله مستعداً لعلاج الجهل بالعلم ، ورفع العجز بالاقتدار ، وازاحة الفقر بالغنى . . ولكن من طرق خاصة واساليب معينة . وارسال الرسل ، وانزال الكتب ، ونشر التعليم ، انماهي لتعيين تلك الاساليب وتشخيص تلك الوسائل الموصلة الى الغـاية التي هي النجاة من تلك المهالك والفوز بالسعادة الابدية .

أترون ان الله ـ تعالى شأنه ـ اوجد البشر رحمة ام نقمة ؟ .. كلا ! ثم كلا ! . . . انما اوجده للرحمـــة والهناء لا للتعاسة والشقاء . فلما اوجدهم للعناية والرحمة فلابد ان يهيء لهم الاسباب اليها ، وحيث كانت تلك الخلال الثلاث هن اصول الرذائل وامهات المفاسد والشرور ، واول فساد نشأ منها في دور الانسان الاول هو قتل احد الاخوين اخاه بدافع الغاية والاستئثار ، ثم اتصلت بعد ذلك المصائب وتوالت النوائب ، حتى اتسع نطاقها وامتد رواقها ، ولم تزل تتنوع وتتشكل باشكال مختلفة . . فمن غارات مشبوبة ، واموال منهوبة ، ودماء مسفوكة واعراض مهتوكة ، واصنام مقصودة ، واحجار معبودة . . وهلم جرا . . . فرايج شرور وولايج افك وزور .

نعم ! والعناية الازلية والالطاف الربوبية لم تزل معنية بالبشر ، تنشر وتثقف ، وتعلم وتهدي . . . ارسال رسل ، بعث انبياء ، انزال كتب ، وضع موازين ، جعل قوانين ، قصاص وديات ، حدود وعقوبات . . . ولكن هل نفع كل ذلك او نجع بعضه ؟ . . كلا !

اقام نوح بين ظهراني قومه الف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم الى الهدى ويرشدهم الى الطاعة ، فماذا كانت النتيجة ؟ والى اين بلغ الحال بعد دعوة شيخ المرسلين العريضة الطويلة ؟ . . نعم ! كانت طوفانا مريعاً وهلاكا فجيعاً ، وابادة لكل ذلك الجيل عدا قليل .

ثم تسلسلت الانبياء على ذلك والناس لاتزداد إلا تعاسة وشرا ، والعناية لم تزل تساوقهم وترافقهم ، ولاتريد بهم الاخيراً.

فلم يتهيأ للبشرية من يعطيها دواءها الحاسم ويعرف علاجها الشافي ، ويسبر الغور ويبلغ المدى ويصيب الهدف ويطبق المفصل حتى جاء المثل الاعلى والمظهر الاتم الاجلى ، سيد الرسل ومنقذ البشرية ، النبي الاعظم محمد (ص) ، فعرف ان داء البشرية الوحيد ومنشأ كل الويلات والمفاسد هو حب الغلبة والاستئثار، حب الاثرة يدفع بالنفس الى ان تطمح للحصول على كل اسباب

التفوق ، فيطفى بها شرر الشر والنهمة ، فتركن الى القوميات وتتعالى بالعنصريات .

الفارسى يقول : انا من سلالة الملوك الاكاسرة . والرومي يقول : انا من اولئك البطارقة والقياصرة . والعربي يشمخ بقومه اهل الكرم والشجاعة والفراسة والبراعة . . . وهكذا كل يريد ان يتفوق على اخيه ويستلب الحق من ذويه .

نعم ! هذه هي بلية البشر الصماء وداهية المصائب الدهماء.. حب الغلبة يدعو احدهم ان يسلب الآخر ماله ليكون اغنى منه ، ويبتزه ارضه ليكون اوسع ملكا منه ، وينتزع نعيمه ورياشه ليكون اهنأ عيشاً منه . . وهكذا يسلبه كل شيء حتى يجعله بلا شيء ويكون له كل شيء .

نعم ! جاء محمد (ص) فمحا كل هذه العنعنات ، وطمس عيون العنصريات ، وسحق جماجم القوميات ، فقال ـ وقوله الحق ـ : « كلكم لآدم وآدم من تراب ، لافخر لعربي على عجمي » . فضيلة الاسلاف لاتنفع الاخلاف حتى يكونوا امثالهم . الكرم هو التقوى ، والفخر بشرف الخلال لابشرف العم والخال .

علاج ادواء البشرية وامراضها ان ينضوي الجميع تحت راية واحدة وجامعة فذة ، الا وهي جامعة الانتساب الى الله وراية أن

لا اله الا الله ، التي تجمع الهندي والتركي والعربي والرومي والفارسي ، وتجعلهم اخوانا وعلى الخير اعوانا .

بث ـ سلام الله عليه ـ روح الوحدة ، وحمل مشعل التوحيد ، ونشر راية الاخوة بين البشر . . واجراها اولا عملياً بين اصحابه ، حتى بلغ الامر بهم ان ملكوا بعده شرق الارض وغربها بتالك الروح المباركة ، التي جعلتهم في الارض ملائكة يضحون كل شيء للاسلام ولا يفتخرون إلا بالاسلام . اهاب ذلك المصلح الاعظم صارخا : « ايها الناس ! قولوا لا اله الا الله واسلموا تسلموا وتحصلوا على كل شيء » .

ما ادرك احد من الانبياء ما ادركه من هذا السر العميق والمعنى الدقيق والعلاج الشافي .

جعل اصول التعاليم وقواعد التكاليف الاولية ثلاثة . . ويالله ما اعظمها وما اهمها ! :

اولها « العلم » : وهو اول تكليف كلف به البشر ، واول ما اوجبه الله عليهم ليرفع عنهم رذيلة الجهل المتوغلة فيهم « يرفع الله الذين آمنوا والذين اوتوا العلم درجات » . ولم يزل النبي يحث على طلب العلم حثاً شديداً حتى قال : « ان اردتم الدنيا فعليكم بالعلم ، وان اردتم الاخرة فعليكم بالعلم ، وان اردتم

الدنيا والاخرة فعليكم بالعلم » . هذه التعاليم المقدمة وهذه الروح العالية لا تجدهما في غير شريعة الاسلام وكتابه المقدس. اسبر « التوراة » باجمعها و « الاناجيل » بتمامها ، هل تجد فيها شيئاً من هذه النفحات القدسية والرشحات الربوبية ؟

نعم ! اول تكليف على الانسان ان يكون عالماً ولا يبقى جاهلا . ثانيها ان يعمل بعلمه . والا فما الفائدة بعلمه ؟ . . . العلم بلا عمل ليس كما يقال ك « الشجر بلا ثمر » بل كالشجر الذي يثمر ثمراً مراً ، بلاء ووبال !

قال امير المؤمنين (ع) : « العامل بغير علمه مثل الجاهل المتحير المستغرق في جهله ، بل الحجة عليه الزم ، والبلية عليه اعظم ، وهو عند الله الوم » .

وقال (ع) ايضاً ـ وهي من حكمه الرائعة ـ : « يا جابر ! قوام الدنيا باربعة : عالم يستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف ان يتعلم ، وغني لا يبخل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه . . فاذا لم يستعمل العالم علمه استنكف الجاهل ان يتعلم ، واذا استنكف الجاهل ان يتعلم بخل الغني بماله ، واذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنياه ، ففسد العالم » . يعني ان فساد العالم وعدم استعماله لعلمه هو السبب الاخير لفساد العالم ، بل السبب الوحيد .

ثالثها « ان يعلم غيره » : وإلا لبطلت فائدة التكاليف ولم يحصل التهذيب والتثقيف . . « كلكم راع وكلكم مسئول » . ولو لم يجب تعليم الغير لبقيت الناس خاملة جاهلة . فكل انسان يجب عليه ان يعلم ويعمل ويعلّم .

نعم ! هذه هي اصول التكاليف ومهماتها وامهاتها . ومما لاشك فيه ان حظ كل واحدة منها التقصير والاهمال منا ، كما هو حالنا في سائر المهمات وضروريات السعادة والحياة .

لا طلب علم صحيح ، ولا عمل بما نعلم ، ولا تعليم للغير كما يجب ! !

نحن نعلم ولكن نعبد الهوى ونعمل بما تبعثنا اليه الشهوات. كلنا عالمون وكلنا ضالون ومضلون . . « ارأيت من اتخذ آلهه هواه واضله الله على علم » ، فنحن ممن اضلنا الله على علم منا .

نحن عالمون وفي عين الوقت ضالون كاننا جاهلون . اتريد شاهداً على ذلك ؟

هل بقى خفاءاً وستاراً ان الخمر من اشد الكبائر اثراً واعظمها ضرراً واكثرها بلاء وشرا . . نقص في الدين ، نقص في العقل ، نقص في الصحة ، نقص في المال ، نقص في النسل ، نقص في كل شيء . . . ولم تزل طائفة من الناس غير قليلة تشربه في الجاهلية

والاسلام حق في عصر النبوة . ولكن الفرق انه من ذلك العصر المتألق الى عدة عصور كان يشرب سراً وفي الخفاء ، رعاية للاسلام وصيانة للاحكام ، اما في هذا العصر ـ ويا للاسف ! ـ فقد صار يباع في الاسواق جهاراً وعلناً . . يباع في عواصم الاسلام كبغداد والشام ومصر وامثالها ، ويمر عليه المسلمون بلا ازدراء ولا انكار ، ويشربون جهاراً محاربة لله ورسوله ومعاكسة صراحا لكتابه وقرآنه .

زجاجة الخمر الموضوعة في حوانيت بلاد المسلمين تقول للمسلمين : « انا جئتكم من اوربا على رغم آنافكم ، لا فقأ عيونكم ، وانشر عيوبكم ، وانقص اموالكم ، واسلبكم عقولكم ، واحارب قرآنكم ! . . القرآن يقول : « الخمر اثم فاجتنبوه » وانا اقول : « الخمر غنم فارتكبوه » . النبي يقول : « ايها الناس ! شارب الخمر عابد وثن . اذا مرض لا تعودوه ، وان مات لا تشيعوه ، وان تشفع اليكم لا تشفعوه ، وان خطب اليكم لا تزوجوه » . وأنا اقول : « شارب الخمر عظموه واكرموه » . . . وعلى هذا الحال والمنوال سائر الكبائر من الربا والقمار والفواحش وغيرها .

ايها الناس !

ان من حق المسلم على المسلم اداء النصيحة له ، وانتم اعزة

لدينا كرام علينا . . الله الله في انفسكم ! الله الله في اولادكم ! الله الله في اموالكم واعراضكم ! الله الله في بلادكم واوطانكم ! . . . ان هذا السير الذي تسيرون عليه سير على غـــير الطريق ، وهو لامحالة سوف يؤدي بكم الى الهلاك الابدي والعذاب السرمدي.

نحن حتى لو قطعنا النظر عن الآخرة والحساب والجزاء ، وصرنا - معاذ الله - قوما طبيعيين ، فان حياتنا المادية لا تساعدنا على ارتكاب هذه الاعمال . . اصبح حالنا على الحقيقة حال الجاهلية الاولى ، سوى اننا نقول بالسنتنا : « لا اله الا الله » ، وكلكم تعلمون انها لا تقبل إلا بشروطها ، وماشروطها سوى تنفيذ حدود الله والالتزام باحكام الله ، وذلك هو الاسلام حقيقة .

كان الناس في الجاهلية يشربون الخمر ، ويرتكبون الفواحش، ويأخذون الربا ، ويستحلون قتل النفس المحترمة ، وتشيع بينهم الغيبة ، وينتشر عندهم الحسد . . . فبالله عليكم ! طبقوا هل بيننا وبينهم فرق؟ . . نحن بالقول مسلمون وبالعمل جاهليون « لساني يقول ولا اعمل » .

ان اهم ما يجب على المسلم اليوم هو ان يطهر قلبه من كل غش وغل لاخيه المسلم ، حتى يعود المسلمون كما كانوا : كلهم كتلة واحدة . وهذه هي القاعدة الاساسية واهم التعاليم التي نجح

بها الاسلام وتقدم .

ألف النبي (ص) وآخى بين اصحابه حتى صاروا روحا واحدة وامة حية تحيا بروح واحدة وتشعر بشعور واحد ، ولا يصلح آخر هذا الامر إلا بما صلح به اوله .

مكافحة البضائع الاجنبية

ايها الناس !

انتقض البناء الذي بناه لنا الاولون فاصبحنا مملوكين للاجانب محتاجين اليهم في كل شيء ، وليس معنى ذلك ان الله جعلنا محتاجين اليهم ، ولكن نحن احوجنا انفسنا اليهم ، لانا لم نقنع بما يكفينا في قوام الحياة . نسمي الفضول « كماليات » وهي عين النقائص ، ولو قنعنا بما يكفينا وترفعنا بانفسنا عن تلك الفضول لما اصبحنا بهذه الحاجة والفاقة الماسة والفقر المدقع ، ولما ابتلينا بهذا النقص في الاموال والثمرات . ما الحاجة الى شراء هذه السفاسف اللماعة والزخارف الخداعة ؟ . . خدعونا فجعلوا يبتزون اموالنا ويسلبونا عزنا ومجدنا ، بل يمتصون دم حياتنا .

نحن احوجنا انفسنا اليهم فصرنا اسراء لهم..« احتج الى من شئت تكن اسيره » ، ولو قنعنا بما عندنا لكفانا .

ايها الناس !

انا قلت من قبل ولا ازال اقول : « الاتحاد والاقتصاد » . . . احفظوا هذين الاصلين وخلاكم ذم . دبروا معاشكم ، فان التدبير نصف المعيشة ، وما افتقر من دبر .. ذهب الذهب وذهب كل شيء معه . . . هل ترون ليرات ؟ اين الليرات التي كانت ايديكم واكياسكم علوءة بها؟ . . قد اصبحت ايديكم من الذهب صفراً ، كما اصبحت اراضيكم من الخير قفرا ! !

العمل ... العمل

ان كنتم تريدون ان تكونوا رجالا احراراً كاسلافكم . . رجال صدق وعمال حق . . فانبذوا الاهواء والرذائل والجلوس في المقاهي ومجالس البطالة . وما ادري - وليتني كنت ادري - ماذا تجنون من ثمرة بجلوسكم في تلك المجتمعات التي لا شيء فيها من الخير ؟

الناس جدوا فنالوا ، واجتهدوا فحصلوا ، وصدقوا في الطلب

فوفقوا . . وهل هم الا رجال امثالكم ؟ . . . طاروا في السماء ، وشقوا البحار ، وسخروا القوى الكامنة ، واستغلوا كل شيء ، حتى ضوء النجوم وقوة تيار النور وكامن اسرار الطبيعة .

الله الله ايها الناس ! احذروا زبارج هـــذه المدنية الخلابة اللماعة البراقة ، فانها تذهب بكل نخوة وشرف ، وما اخترعها القوم الا لهلاك هذه الامة ، القوم اخذوا تعاليم الاسلام ففازوا وتقدموا ، وتركناها فتأخرنا .

أليس من تعاليم الاسلام « اغزوهم في عقر دارهم قبل ان يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا » . وهكذا كان سير المسلمين . . . طووا عرض البسيط ، وتقحموا لجج المحيط من اسبانيا في الغرب الى جدران الصين في الشرق .

اما اليوم - ويا للاسف ! - فقد انعكس الامر وانقلب علينا الدهر ، فلم تبق بقعة من بلاد المسلمين الا وهي مستعمرة بل مستعبدة لهم ، يغزوننا في عقر دارنا ويملكوننا في بلادنا . اشغلوكم بالترهات والخزعبلات ، واندفعوا الى الجديات التي انتم لاهون عنها بالمقاهي وقابعون في غمرة الملاهي .

انتم معشر الحليين الكرام ! لم تزل بلدتكم الكريمة هــذه سامية الآثار عالية المنار من بدء تأسيسها في آخر القرن الخامس حتى الان ، ولا جرم ولا غرو ، فقد انشأها ارباب السيف والقلم واعلام العلم والعمل وفرسان المحابر والمنابر ، العرب الاقحاح « بنو دبيس » من « بني اسد » ، انشأها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد . وكانت ـ كما يقول الحموي ـ « أجمة تأوى اليها السباع » ، فنزلها باهله وعساكره ، وقصدها التجار ، فصارت من افخر مدن العراق واحسنها . ولكنها مالبثت ، بعد ان كانت اجمة قصب ، ان عادت اجمة فضل وادب ، وبعد ان كانت تأوي اليهـا السباع تتهافت اليها المصاقع من الاصقاع تهافت الجياع على القصاع .

لله هي من تربة ! فكم انتجت وانجبت من الرجال ، ومازالت تؤتى اكلها حيناً بعـد حين بما تخرج من فطاحل العلماء واماثل الادباء ، وقد استمر سيرها الادبي والعلمي عدة قرون . ولو اردنا

تعداد او احصاء من تخرج من هذه الفيحاء من الاعاظم لاحتجنا الى عدة دفاتر وطوامير ومحابر . ولا ننفك نجد منهم الرجال الذين يلمعون في افق التأريخ لمعان الكواكب في آفاق السماء ، وكأن تربتها قد عجنت بعبير الذكاء والعبقرية ، وامتازت بالفطانة واللوذعية . ولم يزل يتعاهدها بالتربية والتثقيف اساتذة اساطين، نشأوا منها ونزحوا عنها ثم عادوا اليها ، منهم جدي الاعلى (كاشف الغطاء) ، وخلفه جدي القريب الامام «موسى بن جعفر» فانه كان يصطاف بها كل عام ، وكانت لبعض وجهائها حديقة غناء يدعوه اليها كل سنة ، فقال الشيخ صالح التميمي - احد نوابغ شعراء الحلة في ذلك العصر - :

عذرت ولم اعذر على البغي جنة	طغت فبدا بين الجنان غرورها
تهز غصونا كالعذارى اذا انثنت	فماس باوراق الحلى نضيرها
تزور ملوك الارض (موسى) وهذه	كفاها فخاراً ان (موسى) يزورها
ولولم تكن طور الحدائق لم تكن	له عادة في كل عام يطورها

وكان حاكم الحلة يومئذ « سليمان پاشا » احد قرابات الوالي الاقطاعي في بغداد « داود پاشا » ، وكان الحاكم المزبور ظالما غشوما . . فاذا حل الشيخ في الحلة كف الحاكم عن ظلمه وعدل

واعتدل ، فاذا قفل راجعاً الى النجف عاد الى شنشنته ، فقال الشيخ صالح - المتقدم - في احدى مغادرات الشيخ للحلة متوجعاً لسفره عنها :

بمن تفخر الفيحاء والفخر دأبها قديماً وعنها سار موسى باهله
وغادرها من بعد عز ومنعة تحاذر كيد السامري وعجله

فبلغ ذلك سليمان باشا ، فاستحضره للعقوبة ، وقرأ عليه البيتين . فقال الشيخ صالح : « هذان البيتان قد حرفا ، والذي قلته غير هذا » . ثم انشأ ارتجالا قوله :

زهت بابي داود حلة بابل والبسها بالامس بردة عدله
وكانت قديماً قبل موسى وقبله تحاذر كيـد السامري وعجله

فعفى عنه وخلع عليه .

ثم تلى « الشيخ موسى » اخوه « الشيخ حسن ». فانه اقام في الحلة برهة ، وكان مرجعها الوحيد ، وفيها الف كتابه الجليل الموسوم بـ « انوار الفقاهة » . ولم يزل المشايخ من اسرتنا يتعاهدونها من حين الى آخر . . الى ان اشرقت فيها الكواكب الساطعة من « آل عبد المطلب » والسادة الاشراف من « آل مناف » ، بدور الهدى وبحور العلم وينابيع الادب الغض ، وهم منا ونحن منهم ، ومازال هـذا البيت (آل معز الدين) ممدود

الرواق سامي الأفاق، اذا غاب منهم كوكب لاح كوكب . . « من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم » .

فيا اهل هذه البلدة الطيبة التي خصها الله بتلك المزايا الفاضلة والشعور المتوقد ! ألا يجدر بكم ان تنهضوا الى المعالى ، وتغتنموا الفرص ، وتستردوا مجد الجدود والآباء ، وتكونوا قدوة لغيركم من سائر البلدان ؟

الشبيبة

ياشبيبة الحلة !

انتم زهرة البلاد ، انتم الارواح والاكباد ، انتم الاموال والاولاد . . البلاد لكم وانتم للبلاد ، فان حفظتموها حفظتم المجد والشرف ، وإلا ضعتم واضعتم .

اياكم والسرف في المقاهي والملاهي ! . . الشباب باكورة العمر وربيع الحياة ، فاغتنموا العمل والجد والاجتهاد فيه . اغتنم صحتك قبل سقمك ، وشبابك قبل هرمك ، ووجودك قبل عدمك . . . لا تحصيل إلا وقت الشباب ، فاغتنموا شبابكم،

والا فما اشد الندم بعـــده ، حيث لا ينفع الندم . ولعل الله - سبحانه - ساقني اليكم لانبهكم وارشدكـــم وليتم الحجة عليكم ، والمصلحة تعود لكم ، وقلوبنا تحترق عليكم . ونستودعكم الله بالسلامة . والسلام .

الخطبة الرابعة

الخطاب الذي تفضل به سماحته
في النجف الاشرف ـ في ٢٨ صفر سنة
١٣٥٣ هجرية ـ في الصحن الشريف على
جماهير من المستمعين مرتجلا . قال
رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين .

قال الله ـ تعالى ـ : « وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما ذرأ الخليقة ، وبرأ النسمة ،

واوجد البشرية . . أوجد فيها ثلاث غرائز ملازمة لها : اوجد الانسان جاهلا لا يعلم شيئاً ، وفقيراً لا يملك شيئاً ، وعاجزاً لايقدر على شيء . فهذه الخصال الثلاثة هي الضريبة الاولى على ابن آدم التي جبل عليها وتمكنت منه . . . جهل ، وعجز ، وحاجة.

ولكنه ـ جل شأنه ـ قابل هذه الرذائل المتأصلة فيه ، والتي هي امهات بلائه ،واصول شقائه ، وينابيع ضرائه ، وشجرة جميع رذائله وذمائمه . . بثلاث من النعم : نعمة الوجود ، ونعمة الحياة ، ونعمة الادراك . فجعله موجوداً حياً مدركا . وهذه هي اصول النعم والفضائل التي يستطيع بها ان يتدارك مايدخل عليه من النقص بتلك الرذائل السابقة . ولكن الانسان بما انه جاهل لا يعلم كل شيء « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » ، فلا يهتدي ولا يستطيع ان يستثمر تلك المواهب العظمى، فكان بالضرورة وبالطبع يجب على الله من باب اللطف ، لانه اوجد البشرية للنعمة والهناء لا للبلية والشقاء . . نعم ! كان من الواجب عليه ان يبعث في كل برهة معلمين مهذبين يعلمون الناس كيف يستغلون نعمة الحياة ويستثمرون ادراكهم وعلمهم ، فكان المصلحون والمرشدون لا يزالون على طول الابد تأتي منهم ثلة بعد ثلة .

فاعلى طبقاتهم الانبياء والمرسلون ، فانهم مابعثوا إلا لتثقيف البشر وتهذيبهم ودفع تلك الرذائل عنهم ، ثم يليهم الأئمــة والاوصياء والسفرة والبررة ، ثم بعد هاتين الطبقتين العلماء ، ولا اعني بالعلماء من اشار اليه امير المؤمنين (ع) حيث قال : « وآخر قد يسمى عالماً وليس به ، قد جمع اضاليل من ضلال وجهالات من جهال » ، ولكن اريد العلماء الذين يعنون بتهذيب البشر واصلاح اخلاقهم وتزكية نفوسهم ، فما من امة قام فيها مرشدون إلا وكانت سعيدة وحصينة من السوء ، ومامن امة خلت منهم إلا وكانت عاقبتها الدمار . فالله يقول : « ومانرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين » ، ثم عقب هذه الفقرة الشريفة بكلمة انبأت عن مغزاه من ارسالهم ، حيث قال : « فمن آمن واصلح فلاخوف عليهم ولا هم يحزنون ».فالغاية منهم ان يكونوا مبشرين بفوائد الاصلاح ومنذرين بمضار تركه . والى هذا اشار في آية اخرى ، حيث قال : « وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » ، يعني : ان وجود المصلحين يستحيل معه هلاك الامة . فاذا جاء الانبياء وورثتهم العلماء وقاموا بوظيفتهم ، فحينئذ من آمن واصلح واتبع سيرتهم فلا خوف عليهم ، واما اذا لم يتبعوا السيرة النبوية ولم يكونوا مصلحين فهناك الخوف والحزن .

اهمية المصلحين

منزلة المصلحين من الامم منزلة الاطباء والمعالجين . . فكما ان الاطباء يعالجون الامراض الجسمانية فكذلك العلماء يعالجون الامراض النفسانية المهلكة لها ، وبهلاك النفس هلاك الجسد ، ومرتبة هؤلاء كمرتبة الروح من الاجسام .

امراض النفوس وعللها واسقامها اكثر من امراض الاجسام.. فهي تشمل الحسد ، والجهل ، والغرور ، والكبر ، والبخل . . . اصولها كثيرة فضلا عن فروعها وجزئياتها . وهذه الاخلاق الرذيلة هي سوس الامم وموجب هلاكها . وكما يستحيل ان تبقى امة بلا معالجين للاجسام ، فكذلك يستحيل ان تحيا امة بدون مطهرين للاخلاق .

وكما ان لكل فرد من الافراد كيانا مخصوصاً ووجوداً محسوساً ، وهو معرض لآفات كثيرة . . كذلك الامم ، فهي متكونة من مجتمع تلك الافراد المرتبطة بروابط روحية ، مثل الدين واللغة والتربية ، فاذا اتحدوا في هذه المشخصات الثلاث صاروا امة من الامم . وهي كالفرد الذي هو عبارة عن اشياء متباينة

وحقائق مختلفة مربوط بعضها ببعض ، وهي العظم واللحم والعصب والعروق ، قد جمعتها روح واحدة ، وصيرتها عالماً محسوساً وشخصاً واحداً، وهي ايضاً عرضة للامراض الاجتماعية، فاذا قتلت روحها هلكت الامة ، كالفرد تماماً .

وهذه العلل والاسقام التي تعرض للامم تنشأ من عدم المصلحين فيها واهمالهم الاصلاح الذي هو فريضة على كل انسان كل بحسبه . . « كلكم راع وكلكم مسئول » .

تنشأ المفاسد من جهلاء ناقصين عقلا ، فيهملون العلماء اصلاحهم ، ثم يتسع الخرق شيئاً فشيئا حتى يعم البلاء .

الله اعطى الانسان مواهب كما ابتلاه بمثالب ، وجعل تلك المواهب دره للمثالب ، فاذا اقتصر على الثانية انعكس الامر وهلكت الامة بتكاسل زعمائها ومصلحيها .

القضاء على الاعمال المنكرة

في مثل هذه البلدة التي هي مركز العلم والتقى والصلاح ، والتي هي مطمح انظار العالمين ، تقوم فيها مثل هذه البدع التي لايقر عليها شرع ولاعرف . . يقوم فيها بعض الجهلاء فلايردعون،

تعم الرزية والعقلاء ساكتون عن مثل هذه المنكرات الفظيعة ! ..
مثل هـــذا الحرم المقدس « رب اجعل بيتي حرما آمنا » يصير
حرما مخيفاً يخافه كل متستر من بلاء يقع عليه !

هذه الاعمال الفظيعة والمنكرات المخزية ، التي يطغى شرها
وينتشر شررها في هذه الايام ، هي التي فككت روح الاخوة
الاسلامية وفرقتها .

ولو كانت هناك روح واحدة لاحس كل مؤمن بالم الآخر
وبالمنكر الذي يقع على اخيــه ولتألم منه ، واذا تألم يتصدى
لرفعه . . لكننا نعيش عيشاً فرديا لا اجتماعياً ، فاذا نزل باحدنا
مكروه لانحس به ولا نتصور انه سيقع علينا ، وهذه الاحوال
والمصائب هي التي اوصلتنا كافة الى هذه الحال من الضعف ،
فهضمت الحقوق وسلبت العزة ، ولم تبق لنا حرمة .

ولكن كل هذا البلاء وهذا العناء وهذه المصائب التي ترد
علينا ليس الملوم فيها غير انفسنا « ان الله لايظلم الناس شيئاً
ولكن الناس انفسهم يظلمون » .

هل علمتم بما جنيتم . . فمظلومون انتم وانتم الظالمونا ؟ !
انا اترصد واترقب سير الامور . وقد رأيت عياناً محسوساً ان
الكتاب الصادر في العام الماضي ، والذي يقول « هؤلاء سبأية

ماسانية ، ازيحوهم واكسحوهم من العراق ، لا تعطوهم شيئاً من الحقوق » . . اليوم ارى عيانا انهم اخذوا يطبقون تلك النظريات ويسيرون عليها . . ولكن من ذا يحس ويعمل للمستقبل ؟ !

نحن نشتغل ، ولكن شغلنا بمثل هذه الامور التافهة من « الطرقات » والكبائر والافتراء على الله والنبي والزهراء ، فنؤذي طلاب العلوم المهاجرين عوض احترامهم واكرامهم ، وفي الحديث القدسي « من آذى لي مؤمناً فقد بارزني بالمحاربة » ، مستعدون لنشتغل بمثل هذه الامور . . اما من جهة ما يجرى على اخواننا واولادنا من البلاء ، وقد امتلأت منهم السجون، فذاك امر لا ندري به ولا نتساءل عنه .

حدثني احد وجهاء الحلة يقول : الحلة اصبحت هي المحبس والمسجن العام في الفرات ، ولهذه السجون صورة مهولة من كثرة المسجونين ، ولكن قف على سطح السجن وناد : يا نصراني (لا جواب) ، يا يهودي (لا جواب) ، يا صبي (لا جواب) ، يا جعفري (مئات والوف من الاجوبة) ! ! . . فاهل الجنايات والحبوس كلهم منا . وباليقين ليس كلهم اهل جرائم ، بل قسم منهم ابرياء وآخر جناة ، ووزر كلا القسمين على مجموع الامة .

اما الجناة فحيث ان الامة قد عدمت المصلحين الذين

يرشدونها فتركوهم واهملوهم امرهم ، فارتكبوا الجنايات ووقعوا في مهاوي العقوبات . واما الابرياء الذين ظلموا وحبسوا لاغراض وهوى في النفوس فوزرهم علينا ، لانا لسنا بأمة تدفع الضيم بعضها عن بعض ، فيأتي الذئب يفترس هذه النعجة والاخرى والثالثة . . . وهكذا ، ولا دافع ولا مانع . أليس الذنب علينا ؟ اليست البلية سوف تصل الى كل منا ؟

ذهب الايمان من صدورنا فذهبت العزة والنخوة من رؤوسنا والله ـ سبحانه ـ يقول : « العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » . ولكننا خنعنا فصرنا اذلاء .

يقول امير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة : « ان امرأ يمكن عدوه من نفسه ، يهشم عظمه ويعرق لحمه ويمتص دمه ، لبادي الوهن ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره . انت فكن ذاك ، واما انا فدون ان اعطي ذلك من نفسي ضرب يطير منه فراش الهام وتطيح منه السواعد والاقدام » .

ولكن أيرجى فينا الصلاح ؟ . . هيهات !

والله لايرجى الصلاح وامرنا فوضى وشمل المصلحين ممزق
ماذا يردالظلم عنك: ازفرة ؟ ام حسرة ؟ ام عبرة تترقرق ؟
لا تلجأن اذا ظلمت لمنطق فهناك أضيع مايكون المنطق

انت ظلمت بالقوة ، وبالقوة يمكنك ازالة الظلم . وليست القوة الا اتحادكم وطرح الاحقاد التي هي على غير طائل فيما بينكم، وقد صرتم غنيمة للاجانب . حالنا حال الاغنام تماماً . . كل يوم الجزار يسحب قسما منها والباقي ساكنون لاهون بالعشب والمرعى ، لا يدرون ما سيجري بهم غداً .

ايها الناس !

نعود الى ما كنا فيه :

الله يقول : « وما كان ربك مهلك القرى بظلم » . . اسرعوا في الاصلاح والا هلكتم ، ولا اقول ستهلكون ، ولكنكم هلكتم . . وانا الناصح لكم ، ولا ينبئك مثل خبير .

اليس من العار والخزي ان تشتغلوا بمثل هذه التوافه وانتم في قعر ظلمات الظلم ؟! . . في صحن الامير تهتكون حرمات الله !

ايها الناس !

اعلموا ـ وانا المسؤل عنكم امام الله ـ ان اعمالكم في تاسع ربيع كلها حرام ، وضرب « الطرقة » اعظم من شرب الخمر . . ضارب الطرقة كبائع الخمر ! فحاربوا هذه الاعمال واشباهها مثل اذية المؤمنين . من آذى مؤمناً فقد انقطعت العصمة بينهما، واذا انقطعت العصمة بينه وبين المؤمنين انقطعت صلته بالله ،

وعندذلك الويل والثبور . لايكفيكم فعل هذه المنكرات المخزيات حتى صرتم تنسبونها الى الله ـ جل شأنه ـ والى الشرع الشريف «واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها . قل : ان الله لا يأمر بالفحشاء ، بل على الله تفترون» .

تكذبون على الله وتقولون هذه «فرحة الزهراء» !!

ايها الناس !

قمت بينكم في العام الماضي وارشدتكم ، واشكركم ، ويشكركم الحق ، حيث اطعتم وامتثلتم . وأرجو ان تكونوا في هذا العام اشد منكم في العام الفائت في ترك هذه المحرمات .

هذا مشهد امير المؤمنين (ع) اسد الله واسد رسوله ، وباب مدينة العلم والتقى . ألا يجب ان يكون من اطهر البقاع وانقى المشاهد ؟

الشيبة يذكرون ان احد الولاة كان محباً لاهل البيت ، وجاء للنجف مرة ، وامر بان تنزع الاحذية في باب الصحن ، ومنع البصاق والتدخين داخله ، ومضى زمن على ذلك . هؤلاء رجال من العامة ، انظروا كيف يقومون بالحرمات ، ونحن الشيعة نضرب الطرقات قرب الرأس ، ونحرق الاموات . مائتا جاهل يعيشون واكثر من ٣٠ الف نسمة لايتصدون لردهم .

انا لانمنعكم من الانس والسرور، فان هذه الايام ايام انس وفرح، ايام المولود النبوى المبارك الذي ارسله الله رحمة العالمين... ولكن ليس السرور بضرب الكبائر والطرقات وايذاء المؤمنين، بل بعقد الولائم والمجالس، وعمل النكات الهزلية الادبية، وقراءة مدائح النبي واهل بيته.

ما يستحون من الله ويريدون رحمته!.. ليلة الوفاة، وفاة سيد الانبياء، يضربون الطرقات. الوزر عليكم جميعاً ايهـــا الناس!. .هذا يوم ولله يوم آخر! الغيرة مسلوبة من الخلق، ولو كانت هناك غيرة لما استعبدوا وذلوا. يقولون اننا اكثرية.. ولكن ماذا تفيد الاكثرية.. اكثرية الغنم مقابل مدية الجزار؟!

اصلاح معدوم وصلاح مفقود.

اين المصلحون؟ اين احراركم؟ اين صلحاؤكم؟... لو كان هناك اصلاح لما انحطت الهيئات الاجتماعية والفردية كلها الى هذه الدرجة من التعاسة. الآية الشريفة تقول «وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين، فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

نصائح وعبر

ايها الناس !

الله قيضني لاتمام الحجة عليكم أن ارقى المنبر مرة في كل عام على الاقل ،كي انذركم واحذركم من الطواريء والرزايا ، وانتم لا تعرفونها ، وانا اراها بدقيق النظر وثاقب الفكر والبصر .

اجمعوا صفوفكم . .وحدوا كلمتكم . . اعملوا اعمالا منظمة بقيادة كبراء الامة ، لندفع مااحاط بنا من الذل وسقوط الشرق الذي صيرنا فقراء خانعين متفرقين ، واصبح غيرنا متنعما باموالنا في القصور الشاهقة والجنائن المؤنقة . اصبحنا فقراء اسراء في بلادنا وكل ذلك من انفسنا . فوضى . . فوضى في كل شيء . . متفرقين في كل ناحية !

لاتصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

لا زعامة ولا حشمة بسيادة الجهال ، فيجب ان تبحثوا عن اناس شفوقين عليكم ، تنقادون لارشاداتهم وتعاليمهم لينقذوكم من هذا البلاء .

السجون مملوءة منا ، والضرائب والضربات متوالية علينا ، ونريد ان نكون محترمين ، وان تدفع الينا حقوقنا . . وذلك لايكون بالالتماس .

الحق يؤخذ ولا يعطى . . . اذا لم تأخذوا الحق بالقوة لاتأخذوه بالالتماس والمروة . الامة التي تم بينها الوئام يستحيل ان تذل وتضام . اما الظلم والضيم فهما لكل امة مشتتة متفرقة .

سيد الشهداء علم كل الدنيا ، لاخصوص الشيعة ، طريقة الاباء والعز والشرف والشهامة . فعل فعلا فريداً من نوعه ليعلم شيعته الاباء والتمسك بالمبادىء المقدسة ، ولكنا تركنا اللباب واخذنا القشور ، واقتصرنا على النوح واللطم والبكاء . انالااقول لا تلطموا ، بل اقول :لاتقصروا على القشور والظواهر وتتركوا اللباب والجواهر .

الحسين ـ سلام الله عليه ـ لم يكن فقيراً ولا بائساً ضعيفاً ، بل كانت جميع اسباب النعيم والثروة متوفرة عنده حاضرة لديه ، ولكنه فادى بكل ذلك في سبيل الشهامة وعدم الرضوخ والذل .

محمد بن بشر الحضرمي تألم لما اسر ولده في الري ، فاذن له الحسين بالذهاب لفداء ولده ، ولكنه ابى ، فقدم له الحسين خمسة ثياب كل ثوب بقيمة مائتي دينار ذهب ، وسقى الحر ، والف فارس

والف فرس ماء ، مع انه كان في بادية هيماء ، لا ماء فيها ولا كلاء .

اين ذهبت تلك المغازي ؟ . . أفهل كان قصده من شهادته اللطم والبكاء ؟

العرب البائدة قبيلتان ؛ « طسم » و « جديس » . تغلبت طسم على جديس وفعلت بها الافعال الشنيعة واذلوها ، الى ان اغتصب ملك طسم امرأة من فتيات جديس ، فخرجت على قومها وفي نواديهم تصيح :

أيجمل مايؤتى الى فتياتكم وانتم رجال كثرة عدد النمل
فلو اننا كنا رجالا وكنتم نساء لما كنا نقر على الذل
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء للمغازل والكحل

امة تعودت على الانخداع بالالفاظ والاقوال ، لاتوجد فيها نهضة شريفة قويمة ، ولا فكرة ناضجة مستقيمة .

هذه اعمال تاسع ربيع كلها محرمة ماانزل الله بها من سلطان، ولو انكم تشربون الخمر لكان خيراً لكم من هذه الاعمال ! ! ولكنكم ـ ان شاء الله ـ لا خمر تشربون ولا افعال محرمة تفعلون. انتم بنظر اسد الله وفي جواره ، انتم بضربكم « الطرقات » تضيعون الاموال وتؤذون الاحياء والاموات ، فما هذه اللذة ؟

أي امة من الامم الوحشية تعمل مثل اعمالكم هذه ؟ . .

انظروا البدو ، فهل عندهم مثل هذا ؟ .

نحن في بلد هو مهجر العلم ومحط رجال رواد المعارف ، افيليق ان تكون افعالنا فيه مثل هذه ؟ ! لا احياء ، لا غيرة . . . والتقصير مني ومن امثالى ، وما هناك من مصلح ، بل كلنا مشغولون بمصالحنا .

وظيفة العالم لا تنحصر في الفتوى فقط ، بل اهم وظائفه الارشاد والاصلاح « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم» والعلماء ورثة الانبياء والاوصياء ، فيجب ان يقتدوا بهم في التزكية والتهذيب .

ايها المؤمنون !

طال المقام ، فاختم كلمتي بشيء ربما يؤثر عليكم :

في مثل هذا اليوم انفتحت ابواب المصائب على المسلمين ، لان الرحمة العامة التي ارسلها الله لحمل مشعل الاصلاح ارتفعت . . ارتفعت تلك الرحمة عن البشر في مثل هذا اليوم ، فما اجدرنا بالحزن والبكاء فيه ! لانه يوم كان فيه مصدر مصائبنا وارتفاع الخير والبركات عنا .

اذكروا نبيكم على الفراش والاعمال تدبر . اريد ان اشير لكم الى معنى كي تعرفوا عما للتدابير والمؤامرات من التأثير في تحوير الحقائق . . اربعة او خمسة تآمروا ودبروا ، وعلى الحق تعاونوا وتناصروا ، وعقدوها عقدة لا تحل. أفلا يوجد فيكم اربعة او خمسة يدبرون للحق ويتعاونون للعدل ويتناصرون على دفع الضيم ؟ . . ولكنكم عند قدوم تاسع ربيع ارقصوا في هـــذه الزاوية من الصحن وتضاربوا ! ! واعمالكم هذه والله معدومة حتى عند الوحوش والبهائم ! !

غفر الله لنا ولكم . والسلام عليكم .

في ذكرى
ميلاد امير المؤمنين على
عليه السلام

خطبة الفقيد الراحل « كاشف الغطاء » في مولد الامام امير المؤمنين علي - عليه السلام - في ١٣ رجب ١٣٦٨ في « حسينية باب السيف » في « الكرخ » ببغداد .



« رب اشرح لي صدري ، ويسر لي امري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي » .

يعز علي - ايها الاعزة - ان أحل مجلسي لانتهاز هذه الفرصة الثمينة والقاء ما يناسب هذه الليلة المباركة وهذا الحفل الكريم مع اني في دور النقاهة . . منهوك القوى ،خافت الصوت ، ضيق الصدر ، رهين العلة والمعالجة . ومن يقول عن مقال له تواضعاً : هذا جهد المقل ، او هذه نفثة مصدور . . فانا اقولها حقاً لا تنازلا ، والعيان اصدق شاهد على ذلك .

نعم ! نبتديء كلمتنا متفائلين بقوله - تعالى - « فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل : الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين . وقل : رب انزلني منزلا مباركاً وانت خير المنزلين . وقال : اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي على صراط مستقيم » .

هذه السفينة في الزمن الاول والعهود المتوغلة في القدم اول مركب نجا به جميع من على وجه الارض من المؤمنين المستضعفين، تخلصوا من سطوة الغاشمين وسيطرة الظالمين ، بعد الجهود الطائلة واتمام الحجة من شيخ الانبياء زهاء الف سنة . وبعد ان عامت السفينة في امواج الطوفان الذي غمر هـذه الكرة باجمعها سنة كاملة « قيل : يانوح ! اهبط بسلام وبركات منا عليك وعلى امم ممن معك » .

نعم ! هذه السفينة هي السفينة التي شبه رسول الله (ص) اهل بيته بها في الحديث المشهور بين الفريقين : « اهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك وهوى » .

ومن يتدبر حال العصور التي قبل الاسلام وماكان العالم فيه ، لا جزيرة العرب فقط ، بل حتى الدول العظمى في تلك القرون ، من الفرس والروم . . من يتدبر ما كانت فيه تلك الامم من الجهل والجور والاستبداد ، يعرف طوفان البلاء الذي غمر الدنيا يوم ذاك ، ويعرف شدة الحاجة الى من ينقذ ذلك الخلق البائس من تلك الغمرات .

فبعثت العناية الازلية المنقذ العظيم حبيبه محمد رسول الله صلى الله عليه واله . . ولكن قبل ان يتم رسالته وينقذ عموم البشر

من ذلك الشر الذي توغل في النفوس واستفحل من عهد قديم ..
قضت الحكمة الغامضة ان يعود الى الملكوت الاعلى الذي جاء منه.

واكمالا للرسالة، وابلاغاً للغاية، اشار الى من يتم به الفرض، ومن تقوم به الحجة، فقال قبل رحلته بقليل: «اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي اهل بيتي». وبهذا اتجه ان يصدع الوحي بقوله ـ تعالى ـ: «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي».

وجد نبي الرحمة، عند قرب رحيله، ان العالم لايزال بعده مغموراً بطوفان الجهالة، والضلالة لاتزال مستحكمة، وان لابد لهذا الطوفان من سفينة تنجي من اراد النجاة، فقال: اهل بيتي هم السفينة. وفي دعاء شعبان: «اللهم صلى على محمد وآله، الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها ويغرق من تركها ..».

ولايته السفينة فاركبوها   نجا والله من ركب السفينا

بيد ان سفينة نوح ما نجت من الطوفان ورست على الجودي إلا بمحمد وآله (ص).. كما اشار الى ذلك العباس بن عبد المطلب في مقطوعة تنسب له يمدح بها ابن اخيه محمد (ص) فيقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي   مستخصف حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر   انت ولا نطفة ولا علق
بل ملك تنقذ السفين وقد   الجم نوحا وقومه الغرق

صانع السفينة الاولى شيخ المرسلين ، وواضع السفينة الثانية سيد المرسلين .

السفينة الاولى خشب يجري على الماء ، والسفينة الثانية نور هبط على الارض من السماء . . واضعها محمد (ص) ، وربانها ومسيرها اخوه وصنوه الامام الذي احتفلت هذه الجمعية (جمعية المقاصد الخيرية العراقية) بذكرى ولادته في هذه الليلة المباركة « انا انزلناه في ليلة مباركة ، انا كنا منذرين » .

ولا نستطيع في مقامنا هذا ، ان نأتي على اليسير من فضائل هذا الامام العظيم فضلا عن الكثير . ومن ذا يقدر على احصاء نجوم السماء من مناقبه .. شجاعته، وبلاغته ،وزهده ، وسوابقه في الاسلام ، التى هي كلمات الله .. « ولو أن في الارض من شجرة اقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ، لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات الله » . « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي » .

انما المناسب في المقام هو التعرض لولادته في هذه الليلة المباركة . ونتعرض لشأن واحد من شؤون ولادته ـ سلام الله عليه ـ

وهو ولادته في الكعبة على اشهر الروايات ، ولعل غيرها من مدسوسات النواصب ، الذين يريدون أن يستروا ضوء الشمس بأكفهم .

وولادته في الكعبة طفحت بها الكتب ونظمتها الشعراء حديثاً وقديماً ، وآخرهم « عبد الباقي » الشهير في مستهل قصيدة له :

انت العلي الذي فوق العلى رفعا ببطن مكة وسط البيت قد وضعا

وهي منقبة لم يشاركه فيها احد في الاسلام .

وقد ذكروا ان مريم لما جاءها المخاض بعيسى (ع) آوت الى بيت المقدس لتضعه فيه ، فنوديت : اخرجي يامريم ! فهذا بيت العبادة لا بيت الولادة ! . . وفاطمة بنت اسد لما احست بالطلق وهي في الكعبة ، انسدت ولم تقدر على الخروج حتى وضعت علياً - عليه السلام - .

ولعل في هذه الحادثة الغريبة اسرار ورموز اجلها واجلاها ان الله - سبحانه - كان يقول : ايتها الكعبة! اني سأطهرك من رجس الاوثان وعبادة الاوثان والانصاب والازلام بهذا المولود فيك .

وهكذا كان . . . فان النبي دخلها عام الفتح والاصنام منضودة ومعلقة على جدرانها ، ولكل قبيلة من قبائل العرب صنم . . . فأصعد علياً على منكبيه ، وصار يحطمها ويرمي بها الى الارض ،

والنبي (ص) يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » .

وقد نظم « الشافعي » هذه الفضيلة في مشهورة تنسب له ، يقول في آخرها :

وعلي واضع اقدامه   في محل وضع الله يده

فان النبي كان يحدث عن المعراج قائلا : « ان الله ـ عز شأنه ـ وضع يده على كتفي حتى احسست بردها على كبدي » .

وفي ولادته رمز آخر لعله ادق واعمق . . وهو أن حقيقة التوجه الى الكعبة هو التوجه الى ذلك النور المتولد فيها . ولو أن القصد مقصور على محض التوجه الى تلك البنية وتلك الاحجار لكان ايضاً نوع من عبادة الاصنام ـ معاذ الله ـ . . ولكن التناسب يقضي بان البدن ، وهو تراب ، يتوجه الى الكعبة التي هي تراب ، والروح التي هي جوهر مجرد تتوجه الى النور المجرد . وكل جنس لا حق بجنسه . . النور للنور ، والتراب للتراب . والى بعض هذا اشار بعض شعراء الفاطميين اذ يقول عن الامام :

بشر في العين إلا انه   من طريق العقل نور وهدى

جل ان تدركه ابصارنا   وتعالى ان نراه جسدا

فهو في التسبيح زلفى راكع   سمع الله به من حمدا

تدرك الافكار منه جوهرا　　كاد من اجلاله ان يعبدا

فهو الكعبة والوجه الذي　　وحد الله به من وحدا

وهذا الطراز من الشعر وان كان فيه شيء من الغلو ، ففيه كثير من الحقيقة ، وفيه لمعات من التوحيد .

نعم ! نتوجه بابداننا في خلواتنا الى الكعبة ، وبارواحنا الى النور الذي اشرق واضاء فيها . . نتوجه اليه فنجعله الوسيلة الى الله ، كما قال ـ عز شأنه ـ : « اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » نتوجه اليه كي يوجهنا الى الخير والسداد . فالتوجه منا اليه والتوجه منه لنا .

نعم ! كتاب الله والعترة سفن النجاة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ولا يضل ولا يزل من تمسك بهما . . ولكن ليس التمسك قول باللسان وثرثرة بالالفاظ . . .

التمسك عقيدة راسخة واعمال صحيحة ، بنية خالصة ، وقلب طاهر سليم ، واخلاق فاضلة . . . التي هي روح الدين وجوهر الاسلام ، والتي طفح بها الكتاب والسنة .

ولكن اين نحن من مراحل هذه الفضائل والاخذ بهذه الوسائل ؟ ! . . . ابهذا التفسخ الاخلاقي والتفكك الاجتماعي ونبذنا الكتاب والسنة وراء ظهورنا نريد ان نعد انفسنا من

المسلمين وبالعروة الوثقى متمسكين ؟! . . . كلا ! وكلا ! . . .
ولو كان لنا من الاسلام ذرء اوذرة لماسقطنا هذا السقوط الشائن
ولما فشلنا هذا الفشل المخزي .

امتحنت « فلسطين » بمحنة الصهيونية منذ اربعين سنة ،
وما زالت الصهيونية تتقدم والعرب والاسلام تتأخر . وقد
اقتحمت معاركها الاولى ، ولم ازل منذ عشرين سنة ، اقرع
المنابر واقرع الاسماع بالخطب النارية ، وانشر المقالات الملتهبة
في الصحف وغيرها ، واهيب بالمسلمين وادعوهم الى الوحدة
وجمع الكلمة ، وان الاسلام بني على دعامتين « كلمة التوحيد ،
وتوحيد الكلمة » ، واصرخ الصرخات الداوية ان يصلحوا
الوضع بينهم لانقاذ فلسطين الدامية . . . وكنت من زمن بعيد
ابث شجواي في ابيات منها :

نهضت فقيل اي فتى فلما خبرت القوم طاب لي القعود
واني بعد مجهدة وقومي كضاربة وقد برد الحديد
وحيد بينهم ولعل يوما عصيباً فيه يفتقد الوحيد
لنا في الشرق أوطان ولكن تضيق بنا كما ضاقت لحود
نقيم بها على فقر وذل ونظماً ، لا يساغ لنا ورود
مواعيد السياسة بينات تكيد بها السياسة من تكيد

وعود كلها كذب وزور فكم والى م تخدعنا الوعود ؟
اذا ما الملك شيد على خداع فلا يبقى الخداع ولا المشيد
اذا لم تبتن ملكا صحيحاً فلا تغني الجيوش ولا البنود

ومن هذه الشعلة ثلاثة ابيات ذكرتها في مقدمة الجزء الاول من مؤلفنا « الدين والاسلام » الذي طبع في مطبعة العرفان قبل ٣٨ سنة ، وهي :

فلا طلعت عليَّ الشمس يوما اذا عن مجد قومي لا اذود
اموت وقدبلوت النفس جهداً كما تحمى عرينتها الاسود
كذلك فلتكن للعرب نفس والا ما الحياة وما الوجود ؟!

نعم ! كنا نعتز بذكر العرب ونرتاح بالانتساب اليهم . . ثم دارت رحى الزمان ، فصرنا نخجل من ذكر العرب والعروبة وما يشتق منها ، ونود لو كنا من « الخزر » و « البربر » ولم نكن من هذه الامة ، وانطبق علينا تماماً قول القائل :

ورثنا المجد عن آباء صدق اسأنا في ديارهم الصنيعا
اذا الحسب الرفيع تواكلته بناة السوء اوشك ان يضيعا

« فلسطين » قلب البلاد العربية تحقيقا ، تحف بها ـ كالهالة ـ مصر وسوريا ولبنان والاردن والحجاز . . فاذا هلك القلب فما حال بقية الاعضاء ؟! . . ولا شك ان الوضع اذا بقي على هذا

الحال فلنا فلسطينات اخرى في زمن قريب ـ لاسمح الله ـ !

ألا يخطر على بالكم قول شاعر الفردوس الضائع ـ الفردوس العربي ـ حيث قال :

حثوا ارواحكم يا اهل اندلس ليس البقاء بها إلا من الغلط

من جاور الشر لايأمن عواقبه كيف الحياة مع الحيات في سفط

العقد يبتر من اطرافه وارى عقد الجزيرة مبتورا من الوسط !

مصيبة المسلمين عظيمة . . . واعظم منها : ان المصائب من شأنها ان تنبه الشعور ، وتعطي لاهلها دروسا وعبر ، وتجمع الشمل ، وتوحد الكلمة . . . اما مصيبتنا بفلسطين فما صنعت شيئاً من ذلك ، وتلقاها زعماء العرب وقادتها الذين ذبحت فلسطين على مذبح مطامعهم الدنية وجشعهم الخبيث . . . نعم ! تلقوها برحابة صدر وبرودة دم . . وما كفاهم ذلك حتى مكنوا اليهود ـ طائعين ـ من البقية الباقية من اراضي فلسطين التي يسكنها الالوف من عرب المسلمين ، وجعلوهم عبيد اليهود ، يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون .

وكانت اهالي فلسطين تأمل من ملوك العرب نصرهم . . . ويا ليتهم كفوها شرهم ، ولم يكونوا سماسرة المستعمرين ومنفذين لارادتهم .. وسوف يعلمون كيف تدور الدائرة عليهم !

« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل ، فسوف يعلمون » .

نعم ! كل ما اصابنا انما هو من محاربتنا للدين ، ونبذ القرآن ، وترك العمل بتعاليم الاسلام .

وما افسد هذا الشباب الخليع المستهتر إلا هذه المدارس التي جعلت الدين قشراً لا لب فيه ، وجسدا لاروح له . . .

ولكن قد احيى ميت الامل ما بشرني به معالي الوزير « النجيب الراوي » (١) ـ حفظه الله ـ من انه جعل في المدارس ـ أو سيجعل قريبا ـ للدين والقرآن درجة وامتحانا ، وينتخب المعلمين من ذوي الثقافة الدينية والعفة والامانة ، وفقه الله لهذه الخدمة الجليلة ، وإنه الجدير بمثلها ، ولا ترتجى الا من مثله .

ايها المسلمون !

عودوا الى ما كان عليه اسلافكم تعد لكم عزتكم . اكرموا القرآن بالعمل به كي يعيد لكم كرامتكم . اترجون صلاحاً او اصلاحاً من هذا الشباب الواهن المنجرف في تيار شهواته ؟ !

اصل بليتنا ـ معاشر المسلمين ـ هو الاستعمار . . وكل رزية وبلية فالاستعمار اصلها وفرعها ، ومنبعها ومطلعها ، وما جر علينا

(١) هو نجيب الراوي ابن المرحوم العلامة الشيخ ابراهيم الراوي ، وكان وزيرا للمعارف حينئذ ، وحاضرا في الاحتفال .

بلاء الاستعمار ، ومكنهم من نفوسنا واموالنا واولادنا واخلاقنا وتقاليدنا ، إلا زعماؤنا وقادتنا .

وملوكنا قد اسلمونا للعدى   لله در ملوكنـــا ما تصنع !

وما افسد الاسلام الا عصابة   تأمر نوكاها ودام نعيمهـــا

واضحت قناة الدين في كف فاجر   اقيم لاصلاح الورى وهو فاسد

وهل يستقيم الظل والعود اعوج ؟!.. يقولون (بالزبيبة عود) اما قضيتنا : ففي الزبيبة عمود كل احـــد يراه ويشكو الى الله.

لمثل هذا يذوب القلب من اسف   لو كان في القلب اسلام وايمان

ايها المسلمون !

احفظوا اولادكم من هذا الشر المستطير والداء الذي يفسد دينهم ودنياهم . . انشئوا لهم مدارس اهلية مثقفة ثقافة دينية تتلاءم مـــع روح العصر ، واستحضروا لهم معلمين من اهل الصلاح والفضيلة ، فان اهم واجب على مدارس اهلية او حكومية جعل الدروس الدينية في الدرجة الاولى من الاهمية ، وتجعل لها امتحاناً وشهادة .

ولا يتسنى للاهليين انشاء المدارس الكافية للتعليم إلا بتشكيل الجمعيات الخيرية ، كي تتعاون على هذه الاعمال الجليلة والمشاريع الحيوية .

وهذه « جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية » بادرة خير من اهالي الكرخ ، وهى بذور صالحة يرجى بتوفيقه - تعالى - وهمة المؤسسين لها ومعاونة اخوانهم لهم ان تنمو نماء حسناً وتثمر ثمراً جنياً ، يجدون فيها الهدى والهنا والخير والبركة في انفسهم واولادهم واموالهم .

ومن المعلوم ان الجمعيات مثل كل كائن يحتاج في نموه وبقائه الى غذاء ، وغذاؤها المال . . فلا تتهاونوا في التعاون والمساعدة ، كل حسب امكانه ومقدوره . . والقليل من الكثير كثير . فتعاونوا واجتمعوا ، فان يد الله مع الجماعة ، والاجتماع خير وبركة .

وآخر وصيتي ونصيحتي اقولها بدء وعوداً ، ولا اخص بها المسلمين ، بل اقول :

ايها البشر ! عليكم بالقرآن ، ففيه سلامتكم ، بل سعادتكم.. ولو عمل الناس واخذت الدول بتعاليمه لاستراحت البشرية من هذا التكالب والتحارب ، وعرف كل حده وحقه .

القرآن اجعلوه الجامعة العربية والوحدة الاسلامية ،وتجنبوا الخلافات المذهبية والخصومات الطائفية ، وليعمل كل على مذهبه في فروعه بغير جدال ولا خصومة .

واقصى الاماني والآمال ان تتوحد الحكومة والامة ، فتكون

الحكومة كاب بار بالرعية ، والرعية كابناء في معاونة الحكومة ، كى يسعد الجميع ، ويكون العراق كما يقال عن « جمهورية افلاطون » و « المدينة الفاضلة » للفارابي .

واهم مايجب على المراجع المسئولة : انتخاب الموظفين المهذبين ، الذين لايقطعون الصلة بين الحكومة والرعية بسوء تصرفاتهم ، ولا يجعلوا الحكومة كذئاب مفترسة لهذا القطيع الوديع باستعمال الضغط الفظيع، من الغطرسة والكبرياء والشدة الى الرشوات وارتكاب المنكرات .

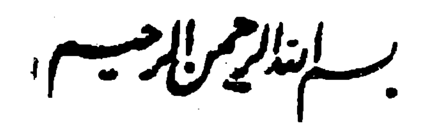
حاسبوا انفسكم - ايها الناس - قبل ان تحاسبوا . . واجعلوا نصب اعينكم المسئولية العظمى . . « يا ايها الناس ! ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

خطبة

الامام كاشف الغطاء في المؤتمر الاسلامى بباكستان

نص خطاب سماحة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في مؤتمر علماء الاسلام بپاكستان يوم السبت ١٩ جمادي الاولى سنة ١٣٧١ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٥٢ :



«رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً، ولم اكن بدعائك رب شقيا» .

قال ـ سبحانه وتعالى ـ : «هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين» .

اشارت هذه الآية الكريمة الى حال الاميين قبل الاسلام وبعده . والمراد بالاميين : الجاهلين من العرب وغيرهم من الامم . وقد كان العالم ، يوم ذاك ، باجمعه في الحقيقة اميا ، يتخبط في ظلمات الظلم والجهالة والغي والعمى . فاشارت الآية الى هـذه الحالة ، وعبرت عن سوء هذا الحال باوجز عبارة واجمعها لمعاني الشقاء ، وهي قوله ـ تعالى ـ : «وان كانوا من قبل لفي ضلال مبـــين» .

كان البشر عموما كسفينة في بحر عجاج تتقاذفه الامواج ، وكان العرب بالاخص في اقصى مراتب الشقاء ، يعبدون الاوثان،

ويعتدون بالاثم والعدوان . . يغزو بعضهم بعضا ، ويثب بعضهم على بعض .. يقتلون اولادهم خشية املاق ، ويدفنون بناتهم حال الحياة حذر الانفاق . . عصابات متضاربة ، وقبائل متحاربة . . لا علم ولا ثقافة ، ولا تفكير ولا تدبير ، ولا صناعة ولا زراعة . .

لا نظام ولا وئام . . عصابات وعصبيات . . تسودها القبلية ، وتقودها الاقليمية ، ويحكمون حكم الجاهلية .. «افحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن احسن من الله حكما ؟ . . . » .

وبينما هم ـ اي العرب وجميع البشر ـ يتخبطون في حنادس هذه الاهوال والاحوال ، من التعاسة والشقاء ، والطيش وسوء العيش . . اذ أشرقت شمس الاسلام على الانام من افق العناية الازلية وسماء الالطاف الاحدية . . جاء الاسلام الى الانام ، ففتح الاسماع وكانت صماء ، ونور الابصار وكانت عمياء ، وصقل القلوب بالنور وكانت ظلماء ، وبدل كل وضع سيء بالاحسن «وبدلنا مكان السيئة الحسنة » .

وكان اول بذرة غرسها وقاعدة رصينة اسسها قاعدة « التوحيد للخالق ، وتوحيد الحقوق للمخلوق » : « الخلق امام الحق سواء » ، « لا فضل لعربي على عجمي » . . محق العنصريات ومحق العصبيات ، واباد نعرات الطائفيات ، وصار يسقي هـــذه

البذرة ـ بذرة التوحيد ـ ويتعاهدها وينميها قولا وفعلا ، سرا وجهرا ، فكرا وذكرا . . « يا ايها الناس ا انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم . والله عليم خبير » . « ايها الناس ! كلكم لآدم وآدم من تراب . لافضل لعربى على عجمي الا بالتقوى » .

ولمـــا وجد ـ سلام الله عليه وعلى آله ـ ان داء التفاخر بالانساب صار داء مستحكما في ذهنية العرب ، بل وعموم الانام تلك الايام ، صار يعيد ويبدي ، يكرر التحذير من هذا الداء ، فيقول: «يابني هاشم ! لايأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم تقولون نحن ذرية محمد» .

ثم حقق ذلك في العيان عمليا ، واوجده خلقا سويا . . فوحد وآخى بين « صهيب الرومى وبلال الحبشى » و « سلمان الفارسى وابي ذر العربي » .

وقد شاعت وانتشرت كلمتنا حيث قلنا قبل عشرين سنة : « بني الاسلام على دعامتين : كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة » . فكان هذا الدين دين التوحيد ، دين الوحدة ، دين المساواة ، دين محق العصبيات وسحق العنصريات ، ونبذ القوميات وعنعنات الطبقات، والتفاخر بالانساب والتعالى والتفوق بالآباء والامهات.

ضرب صاحب الرسالة، منقذ البشرية، رسولنا الاعظم، أعلى مثل لذلك .. فزوج بنت عمته زينب، وامها بنت عبد المطلب سيد البطحاء، من غلامه ومملوكه وعتيقه زيد بن حارثة، فقضى بهذا على سيئتين من سيئات الجاهلية وعاداتها: سيئة التبني، اي البنوة المصطنعة «ما كان محمد ابا احد من رجالكم، ولكن رسول الله» وسيئة التعالي بالانساب. ولم يجعل الناس طبقات عالية وسافلة بغير العلم والتقوى.

ومشى اصحابه وخلفاؤه الراشدون على ضوء هذه التعاليم، والتزموا المشى على هذه السنة والمنهاج. وكلمة الخليفة عمر (رض) مشهورة، حيث قال لبعض امرائه حين ضربه بسوطه وقال له: متى استعبدتم الناس وقد خلقهم الله احرارا؟..

واجل واجلى من ذلك قضية جبلة بن الايهم الغساني احد ملوك الغسانيين في الشام، حين جاء الى المدينة بافخم ابهة واعظم زينة. ورد «يثرب» بموكبه الملكي ليعتنق دين الاسلام. وكان يوم وروده يوماً مشهودا، وللمسلمين عيدا سعيدا. وبعد ان اسلم وغمر الفقراء بالمنح والعطايا، خرج الخليفة عمر الى الحج وخرج الغساني بموكبه وبخيله ورجاله، وبينا هو يطوف وضع رجل من غمار الناس رجله على طرف مئزر الملك فانحل، فغضب الملك

الغساني ولطم الرجل لطمة شديدة . فشكاه الى عمر ، فاحضر الخصمين لديه ، وسأل المدعى عليه فاعترف . فقال عمر للمدعى : لك ان تقتص منه ويلزمه الانقياد لك . فقال الغساني للرجل : اشتري منك اللطمة بألف ، فابى . . ولم يزل يترقى حتى بلغ عشرة الاف ، فأبي الرجل إلا ان يقتص . ولما احرج موقف الغساني قال : كنت احسب ان كرامتي بالاسلام تتضاعف وتصان لا ان تسقط وتهان ! ثم استمهل الى الصباح ، وغلس مع موكبه هاربا من الحرم ليلا ، وذهب من فوره الى قيصر الروم في القسطنطينية « فروق » ، فاكرمه واعطاه اضعاف ما كان يملكه بالشام . ولكنه ندم وصار يأسف ويتلهف على ما فاته من شرف الاسلام ، وانشأ ابياته المشهورة التي منها :

تنصرت الاشراف من اجل لطمة وماكان فيها لوصبرت لها ضرر
فياليت لي بالشام ادنى معيشة اروح واغدو فاقد السمع والبصر
وياليتني لما اصبت بنكبة رجعت الى القول الذي قاله عمر

ونحن لا نريد ان نعلق على هذه الحادثة الغريبة ، ولكن محل الشاهد منها بيان صلابة الخلفاء في التزامهم تعاليم استاذهم المنقذ الاعظم مهما كلفهم الامر وفاتهم من الفوائد الجزيلة .

وادهش من ذلك مخاصمة اليهودي مع الامام علي بن ابي طالب

ـ سلام الله عليه ـ عند عمر ، حيث قال له الخليفة : قم يا ابا الحسن وقف مع خصمك ! فظهر التغير في وجه الامام . . وبعد انتهاء الخصومة قال الخليفة : يا ابا الحسن ! لعله ساءك امري لك ان تقف مع خصمك اليهودي ؟! فقال : كلا ! وانما ساءني انك كنيتني ولم تساو بيني وبين خصمي ، والمسلم واليهودي امام الحق سواء .

فهل سمعت اذناك ام رات عيناك امة كهذه الامة وبهذه الاخلاق الفاضلة . . ملكوا الشرق والغرب ، ودكوا عروش كسرى وقيصر باقل من نصف قرن . . ثم اخذت هذه الروح ، روح الوحدة ، روح المساواة ، روح التوحيد ، تضعف وتتضاءل حتى تلاشت ، وعاد المسلمون الى اسوء مما كانوا فيه في الجاهلية .. تفرقة في كل امر ، وشتات في كل شيء ، واختلاف وخصام في كل نظام .

ما انسلخ القرن الاول إلا ونشأت المذاهب المختلفة والافكار المتضاربة . واول فتنة اصابت الدين في قلبه فتنة الخوارج ، ثم اعقبتها فتنة المذاهب : معتزلة ، واشعرية ، ومرجئة ، وقدرية ، وزيدية ، واموية . . . ومثلها في الفروع : ظاهرية ، وحنفية ، وشافعية ، ومالكية ، وحنبلية . . اختلاف في الاصول ، اختلاف

في الفروع ، اختلاف في كل شيء .

وصارت سياسة الخلفاء تغذي هذه الخلافات وتقويها كي تستغلها وتعتمد عليها على قاعدة « فرق تسد » ، وصارت الممالك الاسلامية ، من عهد بعيد والى اليوم ، يضرب بعضها بعضا ويذيق بعضها باس بعض ، حتى اوشك ـ لاسمح الله ـ ان ينطبق عليها قوله ـ تعالى ـ : « قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم ومن تحت ارجلكم ويلبسكم شيعا ، ويذيق بعضكم باس بعض » .

وانتهز المستعمرون هـــذه الفرصة فامتلكوهم واستهلكوهم جميعا ، وصارت الممالك الاسلامية كالفريسة الملقاة في الفلاة تنهشها الكلاب ، ياخذ كل واحد منها حصته حسب قدرته وامكانياته .

ثم ان كل دولة من الدول الاسلامية إنما نشأت وتكونت بعنوان اقليمي او عنصري ، كالعراق ومصر وايران والافغان وغيرها . . ولكن هذه الدولة الفتية ، الدولة الپاكستانية ، انما نشأت باسم الاسلام ، والاسلام اولدها وكونها . فالاسلام ابوها وهي وليدة الاسلام ونسله وسلالته . فيا هل ترى انها ستكون بارة بابيها ، حافظة لعهوده ، معيدة لمجده ، فتسحق العنصريات، وترعى الاقليات ، وتنظر كل رعاياها بنظرة واحدة ، وتعامل

الجميع بالعدل والحق على السواء ، وتأخذ بما رسمه القرآن الكريم والسنة النبوية ، وتجعل شعارها « لا اله الا الله والله اكبر » ، وتنصر الله فينصرها ، وتحفظ القرآن فيحفظها ؟ ! . .

وبما انها نشأت باسم الاسلام وتقمصت بهذه الروح ، والا فهي من الهند وقطعة منها . . . ولكنها اخذت ناحية الروح ورفضت ناحية الجسد المادي ، فهي بجسدها العنصري هندية وبروحها السامية اسلامية ، وهي ناحية من نواحي التصوف - نعم ! ولعل من الهند نشأ التصوف - . . وبهذه السمة ، سمة التقمص بالاسلام ، قد امتازت هذه الدولة عن سائر الدول الاسلامية التي جعلت شعارها وشارتها الناحيـــة العنصرية او الاقليمية . وهذا هو مستند فتوانا بانه يجب على كل مسلم مساعدتها ومناصرتها . . ولكن ان حافظت على قوانين القرآن ونواميس الاسلام .

فيا ايها المسلمون !

تعلمون حق العلم انه لا يعود لكم مجدكم وعزكم ومناعتكم واستقلالكم إلا برجوعكم الى الله والانقطاع اليه ، وان يصير كل واحد منا مسلما عملا لا قولا ، وحقيقة لا صورة ومجازا . وكما ان العطشان لايرويه لفظ الماء ولو كرره الف مرة ، فكذلك

لا ينفعنا قولنا « اننا مسلمون » ولو كتبناه على جباهنا ما لم نكتبه في قلوبنا ، ونطبق على احكامه جميع اعمالنا .

وها نحن وجميع اخواننا المدعوين الاماثل قد تحملنا اعباء السفر ومشقة الغربة ، ملبين دعوة اخواننا الپاكستانيين، مندفعين بهذا الامل ، راجين ان يكون في هذا المؤتمر بهذه الدولة المباركة ، حياة للاسلام جديدة ، ونهضة مباركة سعيدة . . . تنتعش بها الروح الاسلامية التي تؤلف روحا وحقيقة بين العراقي واليماني والحجازي والايراني والپاكستاني ، وتقربهم مهما تباعدوا ، وتوحدهم مهما تعددوا .. وتخرجنا من هذه الفوضى الضاربة اطنابها علينا ، التي جرتنا الى الاهمال والتسامح بكل شيء حتى في امور ديننا . . نتسامح في الامور الصغيرة ، فتفوتنا المهمات الكبيـــيرة .

نحن نقول « اننا مسلمون » ولكن تاريخنا مسيحي .. مسلمون ولكن عطلتنا يوم الاحد . . مسلمون ، ولكن اكثرنا يتكلم ويتفاهم بالانكليزية . . مسلمون ، ولكن لا نحسن شيئاً من العربية لغة القرآن العظيم والسنة النبوية ونحسن اللسان الاجنبي .

بلغ بنا الاهمال ـ اننا معشر العلماء كما يقال عنا ـ ربما نجتمع في المؤتمر للمذاكرة بشؤون الاسلام ، وقد نسمع الاذان ،

ويقول المؤذن«حي على الصلاة» او « قد قامت الصلاة » فلا نقوم الى الصلاة .. نتجاذب اطراف القيل والقال والتخاصم والجدال،

مسلمون ، ولا يهمنا شيء من امور الاسلام كما تهمنا امورنا الذاتية . . مسلمون ، ولا يرحم غنينا فقراءنا ولا يعطف اقوياؤنا على ضعفائنا ، والله ـ سبحانه ـ يقول : « وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

فاين الاسلام ؟ واين شعائره ياكرام ؟ !

ولكن . . اصبح من امراضناالاجتماعية اننا نقول ولا نفعل، ونعلم ولكننا مثل من يجهل . . « يا ايها الذين! آمنوا كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون » . ونأمر بالبر وننسى انفسنا « أتأمرون الناس بالبروتنسون انفسكم ؟ » .

ايها المسلمون !

خذوا عدتكم ، واجمعوا قوتكم ، ونظموا صفوفكم . . فان السياسة العالمية السوداء تنذر البشرية عموما، والعرب والاسلام خصوصا ، بخطر هائل ، يأتي على الاخضر واليابس ، ويستهلك القوي والضعيف . وهذا الاستعمار الغاشم الذي يتسمى كل يوم باسم ، ويتشكل كل برهة بشكل ، ويلبس كل حين لباسا . . . فيوما انتداب،ويوما حماية ،ويوما وصاية ،واليوم اسموه بالدفاع

عن الشرق . . العبارات شتى والحقيقة واحدة . وقد رأيتم فضائع اعماله هذه الايام بمصر وتونس ومراكش والجزائر وغيرها . . وقد تخلصت دولة ايران ـ نصرها الله ـ من مخالبه وانيابه ونوائبه ، وما تخلصت إلا بعد عناء وكفاح ، ما تخلصت الا باتفاق كلمتها وتوحيد جهودها وتناصر ملكها وشعبها وحكومتها. فنحن نبارك لها، نسأله ـ تعالى ـ ان يوفق سائر الممالك الاسلامية لهذا الفتح المبين والعز المكين (١) .

وانا ابتهل الى الحق ـ جل شأنه ـ ان يمنح النصر والاستقلال الصحيح لكل دولة اسلامية ، وان يجعل اجتماعنا هـذا مثمرا بالثمرات اليانعة والفوائد النافعة للاسلام والمسلمين اجمعين .

خـذوها ايها المسلمون مقالة جامعة ، ودعوة لامعة . . صدرة حرة من كبـد حزين لاب روحاني شفيق عليكـم ، صهرته المصائب ، وحنكته التجارب ، وانحلته النوائب ،

---

(١) كان قد القى الفقيد هـذه الخطبة في ايام حكومة الدكتور محمد مصدق المعروف بعدائه الشديد للاستعمار . وسقطت بعد ذلك .

وابلته الصروف ، وتقلبت به الظروف . . فقال داعيـــا :

« رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ، ولم اكن بدعائك رب شقيا » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

نداء عام

من الامام الراحل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

تكلم السيف فاسكت ايها القلم　　الحرب شبت فماذا تنفع الكلم؟!

تكاثرت الكتب والرسائل الى الفقيد الراحل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من العالم الاسلامي والعربي ، طالبين منه ـ رحمه الله ـ نشر كلمة توجيهية كنداء للمسلمين عن فلسطين في حالتها الحاضرة ومحنتها المتأزمة ، وذلك بعد اعلان التقسيم المشئوم في عام ١٩٤٧ .

والامام الراحل كان امام « مؤتمر فلسطين » ، بل امام المسلمين في عامة اقطار الارض . . وهو خطيب فلسطين ، وخطبته التاريخية في القدس ، التي طبعت عدة مرات وبعدة لغات ، مشهورة معلومة .

وبعد أن تكاثر الطلب عليه ـ رحمه الله ـ وجه بهذا النداء القيم ، ننشره هنا لصلته الوثيقة بالوضع الحاضر .

وقد كانت قد عرضت عليه في حينه فتاوى علماء المذاهب الاسلامية . . .فتفضل ـ رحمه الله ـ بهذا الندا القيم :

نداء لعموم المسلمين

بشأن محنة فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا تجدى الفتوى ونحن لانزال نقول ! ان محنة فلسطين من المسلمين أعظم من محنتها بالصهيونيين !

وسر هذه العقدة : ان المسلمين ـ حتى الآن ـ تمر عليهم قضية فلسطين كقصة من القصص التاريخية ... يمرون عليها لاهين ساردين ... تطرق اسماعهم ولا تمض عواطفهم ، ولا تخرق شغاف قلوبهم ، ولا يعرفون ان البلية لو كانت تخص فلسطين لربما هان الامر وخف الرزء ، ولكن الخطر والغرض هو استملاك جميع البلاد العربية والقضاء على الاسلام والمسلمين !

ولو ان كل فرد من المسلمين يحس بجمرة المصاب ، ويعتقد ان شعلة هذه الكارثة واصلة اليه قريباً لامحالة ، لكان لكل شعب ولكل بلاد شأن غير هذا الشأن ونهضة غير هذه النهضة ، ولما

استقبلوا هذه البلية بهذه البرودة .

الفتوى المثيرة النافعة هو أن يفتي لكل انسان ضميره ، ويوحي اليه وجدانه ، ويحفزه الى العمل الجدي اخلاصه .

وحركة كل مسلم على مقدار علاقته من الاسلام ، ورابطته بالدين ، وحظه من الغيرة الاسلامية .

اما هؤلاء الساكتون ، أو المثبطون الذين يثبطون العزائم ويبذرون بذور الشك والوساوس ، فالكشف عن حالهم موكول الى غيرنا . . . ولكنا نقول :

ايها العرب ! . . . ايها المسلمون ! . . .

لا يختلجكم الشك والريب ، فان البلية على كل واحد منكم والاستعباد ـ لا سمح الله ـ لكل شعب من شعوبكم ، وان معابدكم وجميع مقدساتكم في خطر هائل وبلاء نازل . . فانهضوا نهضة تحفظ كرامتكم وتصون مقدساتكم ، فان دول الغرب قد استكلبت عليكم ، وان اليهود الصهاينة سوف يغزونكم مرة اخرى ويستلبوا اراضيكم ، فاغزوهم واسترجعوا اراضيكم قبل ان يغزوكم .

ولا ينبئك مثل خبير . والله المستعان .

النجف الاشرف محمد الحسين كاشف الغطاء

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٢٠٩٧